روايات رومانسية عالمية

عبير



فيوليت وينسبير

حائرة!

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير

جائرة!

عندما

تلتقي فتاة بريئة في الحادية

والعشرين من عمرها رجلاً يقارب الأربعين.

هل الحب هو ما تتطلع اليه، ام اشباح الماضي التي تجد نفسها مضطرة لمواجهتها؟ احبته من النظرة الأولى وقبلت ان يتزوجها ويأخذها الى احدى جزر البحر الكاريبي. واكتشفت هناك ان الفنان جون تريكارل.. رجل معذب يطارده شبح زوجته الراحلة جوانا.. المرأة الساحرة التي ما زال اختفاؤها المفاجىء يكتنف الجزيرة بالأسرار... ثم هناك ابنة عمها بولا، ذات الشخصية الشرسة والجمال المماثل والتي تؤكد لها باستمرار علاقتها السرية بجون. فلماذا اذن تزوجها هي، ولم يتزوج بولا؟

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٧٨٦٢١٨

١- عمتها المتسلطة . . . ولقاء الفنان

وقفت تينا مانسون تتأمل ذلك الشاطىء الجميل وطيور النورس تحلق فوقه بهدوء وفرح. فالمكان مهجور في الشهر الأول من فصل الربيع، بعدما كان يعج بالعائلات التي تحضر معها ماكولاتها وتمضي النهار بكامله في السباحة واللعب والراحة. وابتسمت تينا بارتياح ظاهر لأنها تحب الشاطىء في وضعه الحالي، بعيداً عن الضجيج والفوضى واصوات السابحين والسابحات. انه يوم اجازتها الاسبوعية الذي تمضيه في الراحة والتأمل بعد عناء الاسبوع والجلوس عدة ساعات في اليوم وراء الآلة الكاتبة في احد مكاتب المحامين المحليين. هنا تستريح من ازعاج العمل ومن عمتها مود وذلك البيت القديم الموحش في شارع دولسي.

وما ان همت بالسير نحو الماء، حتى سمعت صوتاً يقول لها:

«قفي، ارجوك! لا تتحركي! قفي كما انت، تتأملين البحر وكان تحقيق احلامك سيتمّ على الجانب الآخر من هذا الافق الواسع».

نفذت الطلب بطريقة لا شعورية، مع ان دهشتها امتزجت بشيء من الاهتمام وحب الاستطلاع. فهي لم تسمع من قبل صوت رجل يوحي بمثل هذه القوة والنفوذ، مع انها تعرف تماماً ان الاصوات لا تعكس دائماً الشخصية الحقيقية لأصحابها وقد تؤدي في كثير من الاحيان الى خيبة امل مريرة. غطت قسماً من وجهها خصلة من شعرها فلم تمد يداً لابعادها ولم تتحرك، لأنها احسّت بان الرجل يرسمها. فمن عادة بعض الفنانين المجيء الى شاطىء تشورلي بين الحين والآخر لرسم الجمال الطبيعي الذي يجلب عدداً كبيراً من شبان لندن وشاباتها. وسمعت الرجل يقول:

«شكراً جزيلا لك. يمكنك ان ترتاحي الآن».

الا ان اعصاب تينا توترت بدلا من ان ترتاح، فليس من عادتها ان تحادث اشخاصاً غرباء. واحست بان الرجل يقترب منها، فنظرت بسرعة الى الوراء وراحت تتأمله بدقة وروية. رجل طويل القامة، نحيف الجسم، منحته شمس الربيع لوناً برونزياً جذاباً. شعره كث خطه الشيب الجميل في بعض ارجائه، ووجهه يدل على انه سافر كثيراً وشاهد الكثير. فمه يوحي بالحزن والأسى، وبالسخرية التي قد تكون لاذعة ومؤذية. وابتسم فجأة فبدا اصغر سناً واقل حزناً وسخرية، وقال:

«الكاريكاتور هوايتي. انظري الى نفسك كما يراك شخص آخر. فالمرايا تكذب، والكلمات لا تحمل لنا الا المعاني التي نريدها منها».

تأملت صورتها بتمعن ثم ضحكت وقالت:

«اني ممتنة جداً لأنك لم تقس عليّ كما يفعل رسام الكاريكاتور عادة مع ضحيته».

«من النادر ان اقسو على الشباب والحيوانات».

ووضع اوراقه جانباً ثم اخرج غليوناً واضاف قائلا:

«آسف لأنني لن اتمكن من تقديم سيكارة لك».

«انا لا ادخن، شكراً».

وسرّ تينا التي تبلغ الحادية والعشرين من عمرها، ان هذا الرجل الفنان لم يعتبرها فتاة مراهقة او صبية صغيرة على رغم ملابسها التي توحي بذلك... وعدم وجود اي مساحيق على وجهها او حمرة شفاه على شفتيها. ثم اخذت تتساءل عن سبب وجود هذا الارستقراطي الغريب في تشورلي دون سواها. وسمعته يقول لها وكأنه قرأ افكارها:..

«كنت ازور بعض الاصدقاء في منطقة قريبة. وتعطلت سيارتي وانا في طريق العودة، فاضطررت للبقاء هنا ريثما يتم اصلاحها».

«من المؤكد ان تشورلي ستبدو مملة جداً بالنسبة اليك».

«انت ايضاً تجدينها مملة، اليس كذلك يا صغيرتي؟».

ردت عليه بتحدّ وبلهجة لا تعرف التظاهر والمراوغة:

«اتصوّر انك تعتبرني فلاحة صغيرة تحلم بالذهاب الى المدينة الكبيرة بحثاً عن الشهرة، كعارضة او نجمة تلفزيونية او ما شابه ذلك!».

«عندما تقف فتاة على الشاطىء وتحدق بالبحر كئيبة وحائرة، اشعر بأنها تبحث عن آفاق جديدة... عن حلم مثلا، او عن مغامرة».

ثم نظر الى الدخان المتصاعد من غليونه واضاف قائلا:

«عندما كنت صبياً صغيراً في كورنوول، كنت اتأمل البحر واحلم بالسفر فيه الى اقصى شواطئه وابعد مرافئه».

نظرت اليه واحست بأن الرجل حقق امانيه. الا ان احدى تلك الامنيات تحطمت على الصخور القاسية ولا تزال جروحها ظاهرة في وجهه، مما يجعل من الصعب على الانسان الغريب ان يتمكن من تحديد عمره. وتذكرت عمتها التي تعيش معها منذ عشرين عاماً،

حاولت ان تقارن بين عمريهما. هل هو في الأربعين ام في الخامسة والأربعين؟ لا فرق في ذلك، فهو رجل لطيف المعشر لا يسعى الى الايقاع بها او تسلية نفسه نصف ساعة مع فتاة ريفية خجولة.

وانا احب السفر ايضاً. ولكن املي ضعيف جداً في ان اتمكن من تجاوز حدود الحلم والتمني».

«هراء! اننا نعيش في عالم فتح ابوابه للطامحين واصحاب الجرأة والمبادرة. يمكنك ان تسافري مع مجموعة من صديقاتك بدون ان يكلفك ذلك مبلغاً كبيراً من المال. بالمناسبة، هل المشكلة مادية ام ان لك ابوين يخافان عليك ويمنعانك من السفر؟».

احست برغبة قوية لاطلاعه على سرّها، ولكن كشف الأسرار يقيم روابط وعلاقة وثيقة... وهي ليست مستعدة لاقامة مثل هذه العلاقة مع رجل غريب غامض. وشعرت بأنه سيعود عند افتراقهما الى حياة تختلف تماماً عن حياتها. وبدأت ذكرى حديثهما تخف كالدخان الذي كان يتصاعد من غليونه. الا انها لن تنسى بسهولة، وسوف تتألم... كثيراً... عندما تتذكر مستقبلا انها فتحت قلبها في هذه البقعة المهجورة لرجل ذي عينين زرقاوين وندب في ذقنه. وصعقت، عقلا وعاطفة، لمثل هذه الافكار التي تضج في رأسها بسبب رجل!.. فهي كانت دائماً تجد الرجال في تشورلي اشخاصاً عاديين لا يثيرون اهتمامها ومشاعرها، كما ان عمتها مود لم تشجعها ابداً على الاهتمام بهم او حتى الانتباه الى كونهم... من الجنس الآخر. وتطلعت الى طائر يحوم فوقها قائلة:

«امي وابي متوفيان. فقدتهما قبل ان ادخل السنة الثانية من عمري، وتولت عمتي العزباء رعايتي والاهتمام بي منذ ذلك الحين. اعتقد... اعتقد ان عمتي مود متشددة الى حد ما. اعني... اعني...».

قاطعها بهدوء قائلا:

«يمكنني تصوّر وضعك على حقيقته».

نظرت اليه تيها بشموخ وكأنها ندمت على ما قالته. انها لا تطلب شفقة احد... ولكن لم تكن هناك شفقة في عينيه ونظراته، بل تفهّم رجل مجرب وذي خبرة واسعة. وقال لها بوداعة، وكأنه طبيب نفسي يحلل ويعالج:

«يبدو ان ما من رجل احب عمتك وأرادها، انها قاسية ولا تغفر لأحد... حتى لك».

وضع اصبعه على موضع الألم... لم يراوغ، لم يداور، بل تحدث عن صلب الموضوع دون مقدمات او كلمات منمقة. واعجبها... اعجبها جداً لأنه لم يستخدم المزاح او التهكم عندما حلل بهدوء وذكاء وضع فتاة يتيمة يقيّدها شعور بالواجب والاحترام تجاه قريبتها ومربيتها الأنانية والقاسية القلب. انها تعرف ان اخلاصها التام لعمتها يذهب سدى ودون تقدير او امتنان، وكأنه امر مفروغ منه بغض النظر عن واقع الحياة ومبادىء التعامل بين الناس. ولكنها لم تقدر حتى الآن على التخلي عن عمتها المسنة والمنزوية، التي لا صديق لها بين الرجال والنساء على حدّ سواء. وقال لها هذا الرجل الغريب الذي دخل حياتها فجأة، والذي سيخرج منها قريباً وبالسرعة ذاتها:

«من الخطأ جداً ان تحرمي نفسك الانطلاق الى آفاق اوسع اذا كانت هذه العمة تحبك فعلا وتهتم بمصيرك. ليس كافياً ان تأتي الى هذا الشاطىء كي تحلمي ساعة. حاولي على الأقل تأمين رحلة الى الخارج لبضعة ايام. ام ان عمتك تعتبر ان جميع الغرباء والأجانب غير جديرين بالثقة او لا يؤتمن جانبهم؟».

ابتسمت وهزت كتفيها. تأمل وجهها بعناية وسألها بهدوء:

«كم عمرك بالضبط؟».

من المؤكد انه يتصوّرها في سن المراهقة والا لما كان وجّه اليها هذا السؤال. ابتسمت بنعومة واخبرته انها في الحادية والعشرين، فعاد يسألها:

«وماذا يحدث عندما تريدين الزواج؟ اعتقد ان هذا الموضوع وارد

في تفكيرك، اليس كذلك؟».

«على الهامش فقط».

ثم عادت الجدية المهذبة الى وجهها الجميل الساحر، واضافت قائلة:

«اسمع، اليست هذه محادثة غريبة الى درجة كبيرة بين شخصين لا يعرفان بعضهما؟ انا متأكدة انك غير مهتم فعلا بمشاكلي ومصاعبي».

«حديثنا يشبه الى حدّ ما فصلا من قصة او رواية. اننا نتحدث هكذا لأن سفينتينا التقتا صدفة في عرض البحر، ولأنني التقطت اشارة استغاثة. وبما ان سفينتي اكبر واقوى، فبامكاني ان احاول توجيهك الى الشاطىء الأمين. انك غارقة في هذه المشكلة حتى اذنيك، اليس كذلك يا صغيرتي؟ يجب ان تخرجي من هذا السجن الكبير قبل ان تصبحي نسخة بائسة وجافة عن هذه العمة. صدقيني أنك قد تصبحين هكذا ان لم تفعلي شيئاً هاماً وجذرياً قبل فوات الأوان».

ارتجف جسمها وتأثرت. نعم، انها تريد الخروج من سجن عمتها طالما انه يمكنها ذلك. ولكن عمتها ليست امرأة قوية البنية، شديدة الساعد. فهي الآن في المستشفى تنتظر نتائج فحوصات طبية اجرتها خلال اليومين الماضيين، وقد تضطر على ضوئها الى اجراء عملية جراحية خطيرة. لم ترد عمتها الذهاب الى المستشفى، ولكن الطبيب اصرّ على ذلك. وتذكرت تينا بتأثر بالغ كلمات عمتها القاسية وصراخها المزعج المؤذي:

«انك انانية كوالدتك! لا تريدين العناية بي! لا يهمك سوى الخروج من البيت، السهرات، اللهو، البحر...».

قتل والد تينا بحادث سيارة، ومنذ ذلك الحين دأبت عمتها على اهانة والدتها ووصفها بكلمات قاسية ولاذعة. فلم يعجبها ابداً ان يتزوج اخوها امرأة جميلة جداً وتصغره سناً الى تلك الدرجة...

«يجب ان اعود الى البيت. يبدو ان المطر سينهمر خلال فترة وجيزة».

سار معها وراح يحدثها عن جزر الهند الغربية حيث عاش فترة طويلة من الزمن. واخذ يصف لها بالتفصيل جزيرة تدعى سانت مونيك وبمجرد وصولهما الى ساحة البلدة، بدأ المطر الخفيف يبلل رأسيهما. وقالت تينا لنفسها انه لقاء مفاجىء وسينتهي سريعاً، ولكنه سيظل في ذكراها فترة طويلة جداً. ثم ابتسمت وقالت له:

«سرّني جداً التحدث معك. وحتى لو لم تسنح لي فرصة مشاهدة سانت مونيك، فانني سأعرف دائماً القليل عنها نتيجة لشرحك المفصل والممتع».

«وانا ايضاً يا فتاتي الصغيرة الضائعة، تمتعت بحديثك الى درجة كبيرة. وتذكري ما قلته لك، لها حياتها ولك حياتك. لا تهدري وقتاً ثميناً لن تحصلي عليه مرة اخرى. فترة الشباب والنضارة قصيرة جداً... وثمينة جداً».

«هل لي ان اعرف اسمك؟».

ابتسم واجابها بسؤال مرح:

«وهل ستنسينني ان لم يكن لديك بطاقة ملائمة تعلقينها على صدري؟».

ازاحت خصلة من الشعر غطت عينها ثم هزت رأسها وقالت:

«بدا غريباً ان نتحدث عن امور عدة ولم...».

قاطعها بهدوء قائلاً:

«اسمي جون تريكارل».

«انت؟ انت جون تريكارل النحات المشهور؟».

ابتسم الرجل وهو يهز رأسه، ثم سألها:

«هل ستخبرينني عن اسمك، ام انني سأتذكرك كفتاة الشاطىء في تشورلي؟».

اخبرته اسمها وسرها انه سألها. ثم امسك بيدها وشدها قليلا

وهو يقول:

«وداعاً يا تينا!».

وسارت عبر ساحة البلدة دون ان تلتفت وراءها. لان وجهه اصبح محفوراً في عقلها.. وقلبها...

اثناء وجود عمتها في المستشفى، اقامت تينا مع جيرانها الطيبين والبعيدين كل البعد عن التعقيد والمشاكل النفسية. الابنة كيتي شابة حيوية للغاية ولها عدد كبير من الاصدقاء، وتؤمن بأن على تينا الانطلاق من عزلتها والتمتع بحياتها.

«انك تربطين نفسك بسلاسل حديدية مع تلك العمة التي تتذمر وتشكو باستمرار، وبدون سبب. اقصى ما تفعلين هو حضور فيلم سينمائي مرة في الشهر. هذه ليست حياة لشابة مثلك. تعالي مساء الجمعة الى النادي الذي انتمي اليه، فهناك حفلة راقصة وانا ساعرفك على شاب يليق بك».

ابتسمت تينا وقالت:

«شكراً يا كيتي، ولكن عليّ زيارة عمتي يوم الجمعة».

«حسنا. يمكنك ان تأتي الى النادي بعد زيارتها».

«سأرى... سأرى».

وكانت تعرف انها لن تذهب الى النادي، فهي تظن انه ليست لديها تلك الجاذبية وذلك البريق اللذان يعجب بها الشبان ويريدون وجودها في صديقاتهم. انهم يريدون فتيات متحررات يمرحن ويضحكن ويستخدمن كلمات معينة ويلقين نكات غير بريئة. وهي ليست منهن.

«هل تعلمين انني افكر بالوقوع في غرام الشاب الذي اخرج معه حالياً؟».

ضحكت تينا وقالت لها:

«لم اعرف ان على الفتاة ان تفكر او تخطط للوقوع في الحب. فاما ان تحب او لا تحب».

«انك فتاة بريئة يا تينا. من المؤكد ان على الفتاة ان تفكر بهذه المسألة الهامة. فالغبية الفاشلة وحدها هي التي تسمح لنفسها بالسقوط على ركبتيها امام اول رجل او اي رجل».

ثم ابتسمت وسألتها:

«هل اعجبك اي رجل بشكل خاص؟».

هزت تينا راسها وهي تتذكر تفاصيل الدقائق المعدودة التي امضتها مع صاحب العينين الزرقاوين وصوته العميق والدافىء عندما قال لها وداعاً. شكرت جارتها على اهتمامها بها وتوجهت الى البيت للقيام ببعض الاعمال المنزلية. وفجأة دق الباب، فتسارعت نبضات قلبها قلقاً على عمتها التي ستجري لها عملية جراحية. وركضت نحو الباب الخارجي وفتحته فوجدت رجلا ضخم الجثة وامرأة ترتدي معطفاً ثميناً يقفان امامه. لم تعرفهما ولكن وجه السيدة كان مألوفاً الى حد ما. وقالت السيدة وهي تبتسم بلهفة وحماسة:

«من المؤكد انك تينا الصغيرة. انا عمتك سارة وهذا عمك سيدني».

ساره هتون! شقيقة والدها وعمتها مود، التي تزوجت هذا الرجل الثري سيدني وذهبت لتعيش معه في برمنغهام.

«ألم تخبرك مودي بأنها كتبت لي؟».

هزت تينا رأسها حائرة مذهولة. اختلفت عمتاها منذ زمن طويل، عندما علمت سارة اثناء جنازة والدها بأن الراحل اورث البيت واثاثه لشقيقتها مود، وكانت هذه اول مرة تأتي فيها لزيارة اختها.

«ألن تطلبي منا الدخول يا ابنة اخي؟».

«طبعاً... طبعاً».

وتنحت تينا جانباً فدخلا وقالت العمة سارة لزوجها بمجرد وصولهما الى منتصف القاعة:

«لم يتغير هذا البيت مطلقاً يا سيدني. وورق الجدران ذاته و...

ربّاه! يبدو ان مود لا تزال تحتفظ بهذه الخزانة الصغيرة القديمة! والصحون والفناجين اياها ايضاً!».

وفيما كانت تدخل غرفة الجلوس ضاحكة بشيء من السخرية الواضحة، سألتها تينا بتهذيب بالغ:

«هل احضر لكما فنجانين من القهوة؟ لن يتأخر اعدادهما طويلاً».

«شربنا قهوتنا في الفندق الذي سنقيم فيه خلال هذين اليومين».

وخلعت سارة معطفها فيما حل زوجها سيجاره الضخم وهو ينظر حوله باحتقار بحثاً عن منفضة. نظرت اليه تينا بانفعال وقالت له فيما كانت تتوجه مسرعة الى المطبخ.

«سأحضر لك صحناً صغيراً، يا سيد هتون».

ازعجتها هذه الزيارة المفاجئة ولم تصدق ان شقيقة العمة مود حضرت من بيرمنغهام لمجرد قلقها على اختها وتشوقها لرؤيتها. فلو كانت كذلك، لسألت عنها بدلاً من التحدث عن البيت. وزاد من انزعاجها وانقباضها انها سمعت سارة تقول لزوجها ان مود حافظت على البيت وتولت صيانته بدقة، بحيث ان سعره الحالي يزيد ثلاث مرات عما كان عليه بعد وفاة والدها مباشرة. وضعت تينا الصحن قربه فنظر اليها بطريقة شعرت معها برغبة في صفعه. انه يظن نفسه رجلاً جذاباً يصعب على النساء والفتيات مقاومة اغرائه وسحره. ابتسم لها وقال:

«اذن انت ابنة جورج ماتسون الصغيرة! انك كبيرة وناضجة وتهتمين بالبيت اثناء مرض العمة الحبيبة!».

وجلست سارة قرب زوجها وهي تقول:

«مسكينة مود! حزنت وتأثرت كثيراً عندما استلمت رسالتها وعلمت بمرضها. صحيح اننا لم نلتق منذ زمن بعيد، ولكن الخلافات العائلية يجب ان تنسى في وقت كهذا».

ثم ابتسمت وقالت لتينا مازحة:

«اراهن بأنك تجدين صعوبة بالغة في العيش معها، أليس كذلك؟».

ردت تينا باخلاص حقيقي:

«اني معتادة على عمتي مود، يا سيدة هتون. هي التي ربتني ورعتني منذ وفاة امي وابي، وانا اعتبر نفسي مدينة لها الى حد كبير».

تحدثت سارة بتهكم عن شقيقتها ثم سألت تينا بسخرية مماثلة:

«وانت، ماذا تعملين يا تينا؟ نادلة في احد المقاهي؟».

«اني اعمل كسكرتيرة في مكتب احد المستشارين القانونيين».

«المجالات ضيقة جداً في تشورلي، مع انها بالتأكيد افضل بكثير مما كانت عليه عندما كنت انا شابة يافعة. في بيرمنغهام، تلاحظين الفرق يا تينا. نحن نملك هناك مطعماً ومقهى، ويمكننا ان نجد لك عملاً جيداً معنا. تساعدين في تقديم طعام الغداء، وتتولين اثناء المساء مسؤولية المحاسبة وتلقي الطلبات. ونعرف هناك عدداً كبيراً من الشبان اللامعين الجذابين، الذين يملك كل منهم تقريباً سيارة خاصة به».

ردت عليها تينا بشيء من الحدة والعصبية:

«انا لا افكر بمغادرة تشورلي، يا سيدة هتون. اني مسرورة جداً بوظيفتي الحالية».

«هكذا اذن؟ واذا تركت عمتك مودي تشورلي، فسوف تتركينها انت ايضاً؟».

جف لعابها في فمها، اذ صح ما توقعته من هذين الشخصين المزعجين. انهما يريدان البيت، او المال الذي سيأتي به فيما لو طرح للبيع. ولما لم تعلق بشيء على سؤال سارة، قالت لها الضيفة الثقيلة:

«سنذهب الآن لتناول الطعام في الفندق ونزور مود في المستشفى، ثم نعود الى هنا حيث امتع نظري بهذا المكان الذي ولدت فيه وعشت في ارجائه عدداً من السنين. اني متعلقة به عاطفياً!».

ولما التقتهما في غرفة عمتها مود وتحدثوا قليلا، اومأ اليها سيدني هتون قائلا:

«لنتركهما تثرثران قليلا، فلديهما الكثير للتحدث عنه».

وفي الممر المؤدي الى قاعة الانتظار، نظر اليها باعجاب واضح وقال لها بصوت منخفض نسبياً وكأنه يغريها:

«هل فكرت جدياً بالانتقال الى الشمال والاستقرار هناك؟».

«اني لا اعتقد ابداً ان عمتي مود تريد مغادرة دولسي. انها معتادة على تشورلي وجوها الهادي».

تجاهل جوابها الجاف وقال لها مبتسماً:

«يجب ان تعرفي انك ستكونين مسرورة جداً اذا عملت في مطعمي».

ثم غمزها بعين ساخرة واضاف قائلا:

«اني كريم جداً مع الاشخاص الذين... الذين يعجبونني».

اثار كلامه ومغزاه الخسيس اشمئزازها وغضبها. كيف يمكنها ان تعمل مع شخص كهذا، او ربما ان تعيش معه تحت سقف واحد؟ لا، ان الفكرة مرفوضة شكلا ومضموناً. كذلك شعرت برغبة جامحة في حماية عمتها مما يخطط له هذان الشريران اللذان يطمعان ببيتها ومالها. الا انها قررت تأجيل البحث في هذا الموضوع الحساس لحين انتهاء عمتها من مشكلتها الصحية الطارئة. ولما زارتها يوم الجمعة وتبين لها انها اصبحت في حالة جيدة، جلست قربها وقالت لها بهدوء:

«احذري من شقيقتك وزوجها يا عمتي. اعتقد انهما لا يرغبان بشيء سوى الاستيلاء على المال الذي ستحصلين عليه فيما لو بعت منزلك».

خيم الصمت بين مود ماتسون وابنة شقيقها اللتين تختلفان كثيراً شكلا وميولا. وفجأة، عبست السيدة المسنة وقالت بمرارة وغضب:

«هذه كلمات جميلة تقولينها عن اختي وصهري. اعتقد انك كنت

تأملين في ان اموت كي يعود اليك الجزء الأكبر من حصتي. يؤسفني يا عزيزتي ان اقول لك ان صحتي جيدة جداً، بعكس ما كنت تريدين وتتوقعين».

ذهلت تينا واحمر خداها انقباضاً وتأثراً. احست بأن كلمات عمتها اشد ايذاء وايلاماً من اي شيء آخر يمكن ان يقال لها. لو صفعتها على خديها، لكان التأثير اقل ازعاجاً من هذا! وسمعت عمتها تقول لها مرة اخرى:

«جففي دموع التماسيح من عينيك. قررت منذ يوم دخولي الى المستشفى ان اكتب الى سارة لاطلعها على رغبتي بان ترثني هي، لا انت، في حال حدوث مكروه لي. انك لتحاولين اقناعي باخلاصك وتفانيك، ولكن سارة تقول انك تتظاهرين وتراوغين. قالت لي انك غضبت يوم الأحد الماضي عندما ارادت التجول في ارجاء البيت لاستعادة ذكرياتها الحلوة عنه».

«انها تريد تخمين ثمنه فقط، فهي لا تحبه ولا تأبه له اطلاقاً».

شرقت بدموعها وسألت عمتها فيما كانت تقف استعداداً للرحيل:

«هل ستبيعين المنزل يا عمتي وتنتقلين الى بيرمنغهام؟».

نظرت اليها مود ماتسون بعينين قاسيتين وسألتها بعصبية:

«وهل من اعتراض لديك يا آنسة؟ هل من الخطأ ان افكر بما سيحدث لي بعد ان توقعي في حبائلك رجلا مسناً احمق يتزوجك ويذهب بك بعيداً عني؟ اعرف انك تنتظرين ذلك بفارغ الصبر... شأنك في ذلك شأن جميع الفتيات الغبيات... ومثل تلك الحقيرة امك!».

تحملت تينا طوال سنوات عديدة الكلمات القاسية والمهينة التي كانت مود تصف بها امها الراحلة التي لا تعرفها. ولكنها احست فجأة بأنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد، وبخاصة بسبب ازدياد المرارة تجاهها شخصياً. ارتجف جسمها ضيقاً وانقباضاً، وسألت

السيدة المسنة بانفعال:

«انك لم تحبيني ابداً يا عمتي، برغم وجودي معك منذ طفولتي وطوال هذه السنوات. كنت اعرف ذلك منذ البداية، ولكن اخلاصي وامتناني لك ارغماني على محاولة تحمل ذلك. جميع الاطفال يحتاجون الحب والحنان ويتوقعونها، ولكنك حرمتني منها لأنه لم يعجبك ان يقع شقيقك في الحب ويتزوج. ولأنني كبرت واصبحت اشبه امي، بدأت اتلقى طعنات مماثلة منك. لا يا عمتي، لن احتمل المزيد... ولن اذهب الى بيرمنغهام لأعمل خادمة لدى السيد والسيدة هتون».

«لا اعرف مكاناً آخر يمكنك الذهاب اليه. ولكن اذا كان هذا شعورك، فافعلي ما تريدين. لقد بذلت اقصى ما باستطاعتي لأسعدك واهتم بك. ضحيت بأفضل سنوات حياتي لأربّي طفلة امرأة اخرى...».

قاطعتها تينا بهدوء قائلة:

«اني ممتنة لايوائي والاعتناء بي طوال هذه السنين، ولكنني لا... لا اقدر على الذهاب مع شقيقتك. لو قررت انت يا عمتي البقاء هنا، لكان الأمر مختلفاً و...».

«اني ذاهبة الى بيرمنغهام. سيدني يعرف شخصاً سيعطيني سعراً جيداً لممتلكاتي في تشورلي».

تأكد لتينا ان عمتها عاقدة العزم على البيع والانتقال شمالاً. ومع انها لم تقرر بعد ماذا ستفعل لاحقاً، الا انها صممت على امر واحد بعزم واصرار.. انها لن تذهب مع سارة وسيدني، ولن تعمل لديهما، او حتى ان تعيش في منطقة واحدة معهما!

خرجت تينا من المستشفى حزينة ومتأثرة، وتوجهت فوراً الى مطعم صغير في ساحة البلدة حيث احتمت من المطر الخفيف وطلبت فنجاناً من القهوة. وفيما كانت تنظر الى الخارج شاردة الذهن تفكر بحاضرها ومستقبلها، شاهدت الفندق الوحيد في تشورلي حيث

تقيم سارة وزوجها... وحيث اقام جون تريكارل. وتذكرت ما قاله لها ذلك الرجل، واحست بأنه لو كان هنا لكان اثنى على قرارها بالوقوف في وجه عمتها المتسلطة. كان سيقول لها انها حرة في الذهاب الى حيثما تريد، وان لديها الآن فرصة يجب اغتنامها. حرة ان تترك تشورلي... وتذهب الى لندن.

تحمست... اثارتها الفكرة... لو كان بامكانها الذهاب الآن الى لندن، لذهبت فوراً ودون تردد. وتذكرت يد جون تريكارل التي ضغطت على يدها عندما شجعها على الانطلاق من عزلتها واحلامها. وتذكرت الاصبع الثالث في يده اليسرى والخاتم الذهبي الذي كان يزينه. انه خاتم زواج واسم زوجته جوانا ليزابيث، وهي ابنة العقيد الراحل هيليارد كاريش، قرأت عنها في كتاب عن المشاهير في بريطانيا.

وراحت تتذكر المعلومات الاخرى التي قرأتها في ذلك الكتاب. جوانا كاريش تزوجت جون تريكارل عندما كانت في العشرين وهو في السابعة والعشرين. وبعد عامين انجبت له طفلة سميت ليزابيث. وفي السنة الثالثة، توفيت جوانا اثناء رحلة بحرية مع بعض الاصدقاء قرب شاطىء سانت مونيك. ومع انها توفيت قبل ثماني سنوات، الا ان اثار الحزن لا تزال بادية بوضوح على وجهه. انه يفتقدها كثيراً، وقد لا يتمكن ابداً من حب امرأة اخرى. كانت جوانا جميلة جداً، ومرحة، وتضج حيوية ونشاطاً. ولهذا السبب قال لها ان فترة الشباب قصيرة وثمينة ويجب عدم اضاعتها سدى وهدراً...

وسافرت تينا الى لندن بعد اسبوع واحد وهي تحمل معها توصية رائعة من مديرها وعنوان مؤسسة كانت تعمل فيها احدى صديقاتها. وقررت في اليوم التالي لوصولها زيارة صالة العرض التي يعرض فيها جون تريكارل بعض اعماله البرونزية. وقالت لنفسها وهي تتبرج وتتزين امام المرآة:

«لن يكون هناك، يا صغيرتي! انه بعيد، بعيد جدا، وانت ذكرى عابرة منسية».

وشاهدته داخل المعرض الراقي... فشهقت بصوت منخفض. وكأنه سمعها... اعتذر من الشخص الذي كان يتحدث معه واقترب منها قائلا:

«فتاة الشاطىء؟ تينا مورتن؟».

«مانسون».

صافحها بحرارة وقال لها مبتسماً:

«انها لمفاجأة جميلة! هل اخذت اجازة من عملك لتزوري معرضي؟».

هزت رأسها واجابته بتلعثم:

«تركت... تركت تشورلي... نهائياً!».

«ماذا؟ ماذا تقولين؟».

وقبل ان تجيبه، سارع الى القول:

«قطعت سلاسلك وتحررت من قيودك؟ عظيم! عظيم!».

ووضع يده على كتفها وكأنه يشجعها على اخباره بما حدث. وهكذا كان... اخبرته عن سارة وسيدني، وعن كافة التفاصيل. ثم ختمت روايتها بالقول:

«وجدت في نهاية الأمر انه يستحيل عليّ البقاء مع عمتي مود. اعتقد انها كانت تريد ابقائي معها لمجرد... لمجرد...».

قاطعها بهدوء وكأنه يقرأ افكارها:

«لمجرد التسلط عليك والانتقام من العالم والحياة عن طريق تعذيبك. فتفكيرها الضيق وقلبها الحاقد يحملانها على لوم الجميع، باستثناء نفسها، لأنها فشلت في الحب. اني اتمنى لك يا تينا حظاً موفقاً في خطوتك هذه».

ثم غمزها بعينين جميلتين جذابتين وقال لها باسما:

«يجب ان نحتفل بتحررك من تلك العجوز الأنانية المعقدة...

فما رأيك بتناول الغداء معي؟».

احمر وجهها خجلا... وسعادة، وقالت له:

«يسرّني ذلك جداً!».

«عظيم، هل شاهدت كل ما كنت تريدين مشاهدته في المعرض؟».

«ليس بالقدر الذي اريد. هل تسمح باطلاعي على تاريخ كل قطعة وما اوحى لك بها؟».

ضحك وسألها بعد ان لاحظ لهفتها وحماستها:

«وهل انت مهتمة الى هذه الدرجة يا صغيرتي؟».

ابتسمت برقة ونعومة وقالت:

«طبعاً. انا لا اعرف الا القليل القليل عن فن النحت، ولكن منحوتاتك مليئة بالحياة وروعة الابداع. خذ مثلا على ذلك، تلك المسماة القبلة».

ضحك بدماثة ووداعة وقال:

«ما من رجل له عقل وقلب يمكنه مقاومة هذا النوع من الاطراء الذي يأتيه من شابة جميلة مثلك. تعالي اذن، لنبدأ مع هذا النمر البحري الذي ينقض على فريسته في مياه البحر الكاريبي...».

تجولا ساعة كاملة في ارجاء المعرض. وحاول عدد كبير من الشخصيات الاجتماعية والسياسية الذين يزورون المعرض اقناعه بالانضمام الى دوائرهم، الا انه صدهم جميعاً بتهذيب فائق وظل برفقة تينا... ممسكاً بذراعها وغارقاً معها في احاديث مختلفة. وفجأة نادته امرأة انيقة بغنج يمتزج بلهجة الأمر. كانا آنذاك قرب الباب الزجاجي للمعرض. فتحه بسرعة واخرجها معه وهو يقول لها بصوت منخفض:

«تعالي! اسرعي!».

وخلال دقائق كانا يجلسان في سيارته الأنيقة وينطلقان نحو الجانب الغربي للمدينة، حيث سيتناولان الغداء في احد ارقى المطاعم

الموجودة هناك. قررت تينا الخروج عن الصمت فقالت له بهدوء:
«كنت اعتقد يا سيد تريكارل انك ستكون حالياً في سانت مونيك».
«اضطرني عدد من الاصدقاء وبعض الاعمال للبقاء هنا اكثر مما كنت انوي».
وتوقف لحظة ثم ابتسم واضاف قائلا:
«كان ذلك من حظنا، أليس كذلك؟ فلولم اتأخر، لما كنا التقينا».

٢ - حب في الأفق

«مضى على وجودي هنا زمن طويل، وسأعود الى سانت مونيك خلال عشرة ايام. وعدت ابنتي ليزا بأن اعود الى البيت عندما تبدأ عطلة الربيع. انها في مدرسة داخلية ولا نرى بعضنا كثيراً».
كان يتحدث بمحبة وحنان عن ابنته التي يبدو انه قلق عليها. سألته بهدوء:
«أليست مدرستها في الجزيرة؟».
«لا، انها في باربادوس. انها بعيدة طبعاً، ولكنها توجد هناك مع اطفال بريطانيين آخرين».
وتحول بسيارته الى طريق جانبي ضيق واوقفها امام المطعم الذي يقصدانه. وقبل ان يفتح الباب للخروج من السيارة، التفت نحو

تينا وقال لها:

«اعتقد ان اقدامك على هذه الخطوة الهامة والبدء بحياة جديدة ومختلفة يجعلك في البداية متوترة الأعصاب الى حد ما. هل وجدت وظيفة جديدة؟».

هزت رأسها نفياً، فيما كانت تتأمل فمه الجميل وتسارع دقات قلبها وخفقاته. انها لا تعرف الآن ماذا يحدث لها بالنسبة لهذا الرجل، وهل ستتحمل ذهابه بعيداً عنها بعد بضعة ايام! و...

«هيا، لنذهب ونتناول طعامنا».

جلسا الى طاولة يشرفان منها على حديقة غناء جميلة تغص بالزهور العطرة والمتنوعة. وبعد ان طلبا انواع الطعام المفضلة، نظر اليها بجدية وقال:

«يجب ألا يكون لديك اي شعور بالذنب او الندم لأنك تحررت من وضع لا يطاق او يحتمل. ثم، ألم تقرر عمتك بملء ارادتها ان تذهب شمالاً لتعيش مع اختها وصهرها العزيزين؟ انك لم تتخلي عنها بأي طريقة او باخرى. لا يمكنني ان اصدق انك من الاشخاص الذين يتخلون عن احبائهم. اني اتصور انك من اولئك الذين يضحون بانفسهم من اجل الآخرين. أليس كذلك، يا صغيرتي؟».

أدهشتها نظراته الجادة التي كانت تبتعد عنها وتتخطاها الى شخص آخر يتحلى بمزايا مماثلة. ارادت ان تلمس يده وتقول له اشياء شخصية ومستحبة... ارادت ان ترجوه الا يدع الذكريات تؤلمه وتجرح مشاعره واحاسيسه... ارادت ان تقول له انها تعرف ان الذكريات وحدها ليست كافية، وان زوجته الراحلة احبته كما احبها...

«ما هو نوع الوظيفة التي تسعين للحصول عليها؟».

«اوه... اعمال مكتبية».

وقررت الاستمرار في هذا الموضوع، اذ انه يبعد تفكيرها عنه وعن هذا الانجذاب المفاجيء اليه. واضافت:

«كنت اعمل في الطباعة والاختزال والاهتمام بالملفات والوثائق. واذا تمرست قليلاً هنا في حقل السكرتارية، فقد احاول الحصول على وظيفة خارج البلاد. اعني...».

وضحكت ثم مضت الى القول:

«اعني ان هذه هي فرصتي لمشاهدة العالم... الآن بعد ان تحررت من قيودي».

«اعرف اثنين او ثلاثة من رجال الأعمال في لندن وربما تمكنت من مساعدتك في ايجاد وظيفة... آه، شكراً...».

ومد يده التي تحمل مبلغاً من المال نحو نادل كان يقترب منه. وبعد لحظات التفت نحو تينا، التي كانت تحدق به، وقال لها باسماً ومازحاً:

«لا تخافي، فليست لدي اي دوافع او نوايا خفية».

«اوه، اعرف!».

واحمر وجهها خجلاً ثم ثم عادت نظراتها الى الدبوس الفضي واضافت:

«انا لم اعن...».

«اللعنة على لساني!».

ومد يده نحوها. ترددت قليلاً ثم وضعت يدها الباردة في اليد الدافئة المنتظرة. شد على يدها وقال:

«من المؤسف ان يكون بعض الرجال احياناً قساة وعديمي الشعور. لم اتحدث منذ فترة طويلة مع انسانة طيبة وجميلة مثلك. اعذريني!».

اومأت برأسها علامة القبول، ولكنها كانت تفكر آنذاك بالعرض الذي قدمه لها سيدني هتون، وبما كان يتوقعه منها مقابل منحها تلك الوظيفة. وها هو رجل آخر يعرض عليها المساعدة. هل يمكنها

الوثوق به؟ يبدو انها غير قادرة على ذلك. وفي لحظة مجنونة سألت نفسها عن سبب اهتمام شخصية مشهورة ومرموقة مثل جون تريكارل بفتاة فقيرة لا اهمية لها مثلها!

«بماذا تفكرين؟».

«انك طيب جداً معي يا سيد تريكارل. تمنحني وقتك في المعرض، تدعوني الى الغداء، تعرض مساعدتك لايجاد وظيفة. . .».

قاطعها مبتسماً:

«انك ضائعة وحائرة ووحيدة، كقطة صغيرة. الا تعتقدين انني افعل الشيء ذاته لقطة صغيرة؟».

ضحكت وارتاحت اعصابها. ابتسم مرة اخرى وسألها:

«هل تشتاقين الى البحر؟».

«ربما في وقت لاحق، اما الآن فاني مسرورة لوجود هذا العدد الكبير من المحال التجارية الرائعة».

«وهل تركت قلبك في تشورلي؟ اعني، مع احد اولئك الشبان اليافعين؟».

ضحكت وقالت:

«اوه، لا، فأنا لست من الطراز الذي يستهوي الشبان. اعني انهم يحبون الفتنة والسحر والجاذبية، أليس كذلك؟».

«هل هذا ما يحبون حقاً؟».

ثم ابتسم واضاف قائلا :

«لم اعد ادري كيف يحس الشبان، فأنا في التاسعة والثلاثين من عمري. هل تعتبرين هذه السن متقدمة جداً يا تينا؟».

«طبعاً لا!».

وبدت عليها الدهشة والحيرة. فهو ليس من اولئك الرجال الذين يخشون كثيراً من نتائج تأثير شخصيته على الآخرين، وعلى شخص لا اهمية له مثلها، وفجأة نظر اليها بفضول واضح وسألها:

«من اي نوع من الرجال تعتبرينني يا تينا؟ هل تعتقدين انني حنون ولطيف؟ كريم؟ يفكر بالآخرين؟».

«نعم».

ولم تتمكن من اضافة صفة اخرى وهي انها تعتبره انساناً غير سعيد في حياته. وسمعته يقول لها موافقاً:

«صحيح، لدي كل هذه الصفات. معظم الرجال لهم مثل هذه الصفات. . . مع بعض التحفظات. ويمكن ايضا ان يكون الرجال قساة غير مبالين، ويحبون التملك والسيطرة».

احمر خداها قليلاً. هل يحذرها من الوقوع بحبه لمجرد انه اظهر لها قليلاً من الاهتمام والحنان العابرين؟ وسألته دون ان تنظر اليه:

«هل تحذرني من الرجال الذين. . . الذين قد التقيهم هنا في لندن؟».

«اعذريني على هذه المحاضرة».

وشرح لها بهدوء كيف ان بعض الرجال يفضلون الفتاة القروية الخجولة، وكيف ان بامكانهم ايقاع الفتيات بحبائلهم مستغلين مشاعر الابوة لدى الصغيرات. ضحكت قليلاً وقالت له:

«شكراً على المحاضرة، ولكني لست طفلة لا تعرف كيف تفرق بين الحنان الحقيقي والتظاهر به».

«لا يا عزيزتي، انك لا تعرفين. فأنت مثلاً ليست لديك اي فكرة عن سبب دعوتك الى تناول الغداء معي، وتمضية فترة ما بعد الظهر معي».

اتسعت عيناها دهشة واستغراباً ولم تعرف ماذا تقول رداً على هذه الملاحظة غير المتوقعة.

ابتسم الرجل وقال لها:

«اريد ان اشتري بعض الهدايا لابنتي ليزا، وانت بالتأكيد تعرفين اكثر مني ماذا يروق لصبية في التاسعة من عمرها».

ابتسمت بهدوء. قد يكون قاسياً، لا مبالياً ويحب التملك والسيطرة! ولكنه بالتأكيد لا يظهر هذه الصفات اليوم، وليس معها هي بالذات! لم يعد يهمها شيء بعد هذه اللحظة. فهو لم يطلب منها فقط ان تمضي فترة طويلة معه، بل ارادها ايضاً ان تشاركه في انتقاء هدايا لابنته التي يحبها كثيراً. وفيما كانا يتوجهان الى ساحة بيكاديللي في قلب العاصمة البريطانية، سألته:

«هل تشبهك ليزا؟».

«نعم، انها تريكارل قلباً وقالباً. كانت كاللعبة الجميلة في سنواتها الأولى، اما الآن فهي طويلة القامة... وصبية كبيرة. لم اجد صعوبة في التصرف معها عندما كانت طفلة صغيرة، اذ كنت ادللها والاعبها. اما الآن فلها شخصيتها وافكارها الخاصة بها. آه من الفتيات! انهن على مدى الدهور السر الغامض بالنسبة للرجال!».

وابتسم لها فردت ابتسامته بالمثل، فيما كانت تجلس قربه كقطة صغيرة تسعى الى الدفء والحنان... والحماية. وشعرت بأن الدماء تتصاعد الى وجهها وخافت ان تفضح مشاعرها امامه. وتذكرت كيف كانت وجنتا صديقتها كيتي تحمران، وعينا زميلتها في العمل نانسي تشعان بذلك البريق الخاطف، كلما كانتا تتحدثان عن هذا الشاب او ذاك الرجل. انها تلك القوة السحرية الغامضة التي تجذب الفتاة الى الشاب... انه الحب!

بعد جولة في بعض المحال التجارية اشترى خلالها جون اشياء عديدة لابنته، توجها الى شارع بوند ودخلا احد محال الجواهر. اشترى سواراً صغيراً وطلب من البائع ان يحفر له عليه ثلاث كلمات... الى ابنتي الحبيبة. ثم انتقل الى زاوية اخرى وابتاع سواراً ذهبياً ثميناً. امسك بيد تينا ووضعه حول معصمها بشكل طبيعي وعادي. شهقت وحاولت الاعتراض قائلة:

«سيد تريكارل! لا يمكنني...».

رد عليها مازحاً وكأنه يقلدها:

«آنسة ماتسون! يجب ان تقبلي!».

«يجب ان اقبل؟».

اومأ برأسه علامة الايجاب وبدا انه مصمم باصرار على اهدائها ذلك السوار. التهت نفسها بالنظر حولها، فيما كان جون يأخذ سوار ابنته ويدفع للبائع المبلغ المطلوب منه.

ومضت فترة ما بعد الظهر بسرعة شعرت تينا في نهايتها بتعاسة وانزعاج. فخلال دقائق ستصل الى المكان الذي تقيم فيه وسيقول لها مرة اخرى تلك الكلمة المؤلمة... وداعاً! وتوقفت السيارة، فنظر اليها وسألها بهدوء:

«هل يهمك حضور معرض للرسم والحفر على الخشب؟».

تأملت مغيب الشمس دون ان تجيبه او تنظر اليه. انتظرها لحظات ثم سألها مرة اخرى:

«هل يهمك ذلك يا تينا؟».

تسارع خفقان قلبها واحست بحرارة الدماء تسري في عروقها. انه يدعوها مرة اخرى لتخرج معه. ترددت لحظة ثم اجابته بكلمة واحدة... نعم.

«اذن، سأمر من هنا غداً في تمام الثانية عشرة ظهراً. نتناول الغداء معاً ثم نذهب الى المعرض... او الى اي مكان آخر ترغبين فيه».

«ان فكرة المعرض لا بأس بها على الاطلاق. شكراً لك يا سيد تريكارل على هذه الدعوة».

وضع يده على يدها فشعرت بأنها تذوب ولا تقدر على مقاومة ذلك السحر الذي يشدها اليه. وايقظها من احلامها قائلاً:

«انك فتاة لطيفة ومهذبة جداً يا صغيرتي. انا الذي يجب ان اشكرك يا تينا على هذه الفترة الطويلة التي منحتني اياها اليوم».

خرج من السيارة بسرعة وفتح بابها ثم مد يده لمساعدتها على الخروج وهو يقول لها باسماً:
«سأراك غداً باذن الله، يا صغيرتي».
ابتسمت له وتوجهت بسرعة الى غرفتها في مبنى جمعية الشابات وهي تشعر بدفء صوته وسحره يثير في نفسها البهجة والسرور. لم تحلم ابداً في حياتها بان اي رجل في العالم يمكنه ان يمنحها مثل هذه السعادة.

وبدأت مرحلة جديدة في حياة تينا. كان كل يوم يمر يحمل لها اشياء مختلفة. زيارة معارض وحدائق عامة، جولات هنا ورحلات هناك، وعشاء على ضوء الشموع وفي اجواء موسيقية حالمة. واكتشف انها تحب الموسيقى، فأخذها لسماع احدى سيمفونيات بيتهوفن. ورافقته في اليوم التالي لحضور مزاد علني للوحات الفنية والمنحوتات والتماثيل. واعربت تينا عن اعجابها بأحد التماثيل الذي يعود تاريخه الى القرن الثامن عشر، فقال لها:
«يمكن للنحات المبدع ان ينجز عمله باتقان تام ودون اي اخطاء اذا كان يرى وجه الشخص كاملاً. جوانا، زوجتي الراحلة، كانت رائعة الجمال وموضوعاً ساحراً للنحات والرسام».
ومع انه تحول بعد ذلك الى موضوع آخر، الا ان تينا لم تنس كلماته. تحدث عن جوانا دون انفعال او تأثر. ففي القصص والأفلام فقط، ينتهك الناس سرية حياتهم الغرامية. لم يقل مثلاً انها كانت اجمل مخلوقة تعرف عليها في حياته، وان قلبه... او معظمه... مات معها عندما ماتت.. اكتفى بالقول انها كانت موضوعاً جذاباً للرسم او النحت.
اوقف السيارة قرب جسر صخري صغير واطفأ المحرك. كان السكون شاملاً والصمت تاماً. نظر اليها جون ووضع يده على كتفها، فأحست بموجات حرارية تسري في عروقها. تمنت ان يطوقها بذراعه لتشعر بالدفء والحنان... والحماية. جلسا على هذا النحو

دقائق عدة، مرتاحين لسماع صوت الطبيعة وتنشق رائحة الزهور البرية العطرة. وفجأة شد على كتفها وسألها بشيء من العصبية:
«تينا، هل اعجبك انا؟».
شعرت بأن قلبها توقف عن الخفقان وبأن السيارة تدور بها. اخذت نفساً عميقاً واجابته:
«نعم... انك تعجبني».
اعجاب؟ هذا هو الشعور الذي كان ينتابها كلما ابتسم لها او نظر اليها؟ لا، ان النار التي تحرق جسمها كلما اقترب منها او لمسها ليست نتيجة الاعجاب فقط! انها الحب!
«هل اعجبك بما فيه الكفاية كي تتزوجيني؟».
شهقت، ضاعت، ذابت في مكانها! انها تحلم! ولكنها الحقيقة... فها هو يشد على كتفها باصابعه القوية ويهزها قليلاً، ثم يقول لها بلهجة جادة تحمل شيئاً من الحدة:
«تينا! تكلمي، قولي شيئاً حتى ولو كان ذلك قاسياً! اطلبي مني ان اذهب الى الجحيم، اذا كان ذلك يسرك او يعكس حقيقة مشاعرك! هل صعقك طلبي؟ هل تشعرين بأنها وقاحة مني ان اطلب يدك على الرغم من هذا الفارق الكبير في العمر؟».
تأملت وجهه بدقة وعناية، وصرخ كل شيء فيها طالباً البقاء قربه وعدم الافتراق عنه. اصبح عزيزاً جداً على قلبها، ولكنها تعتقد انه لا يحبها وسمعت نفسها تقول له بهدوء... والم:
«اننا غريبان... والغرباء لا يتزوجون بعضهم!».
خيم الصمت فترة طويلة لم تسمع خلالها سوى دقات قلبها... وساعة يده. وفجأة خرق الصمت وقال لها:
«بعض الاشخاص يا تينا ليسوا غرباء ابداً، لأنهم يصبحون اصدقاء بمجرد تبادل بضع كلمات. تصورت انك تفهمت هذا

الموضوع. تصورت ان لديك من الذكاء ما يكفي لتفهم ذلك».

«ليس من الضرورة ايضاً ان يتزوج الاصدقاء».

تنهد واجابها بصوت منخفض وقد بدت عليه خيبة الأمل:

«انك لا تزالين صغيرة لتعرفي ان هناك عشرات الاسباب التي تحمل الناس على الزواج».

وصمت لحظة ثم اضاف قائلاً بهدوء:

«وزواجك مني يا عزيزتي افضل مئة مرة من وظيفة ثانوية في احد المكاتب الصغيرة. كما يمكنني ان اقدم لك منحتين اضافيتين لا بأس بهما على الاطلاق، وهما سانت مونيك وبيت تكونين انت ربته وسيدته».

ناشدته بقلب جريح وصوت حزين:

«توقف، ارجوك! كنت اتصورك طيباً وكريم النفس، ولكنك كالآخرين تعتقد ان خجلي يمنحك حق التسلط علي والتصرف معي كما تريد. انك لا تتصرف هكذا مع شابة اكبر سناً واجمل واذكى...».

«لو كانت لديك هذه الصفات الثلاث، يا طفلتي، لما كنت عرضت عليك الزواج مني».

شدها نحوه حتى التصق وجهها الصغير البارد بوجهه الدافىء، واضاف قائلاً بحنان ظاهر:

«لم اعد اطيق وحدتي وعزلتي يا تينا. اني بحاجة الى زوجة، بحاجة الى امرأة تشاركني حياتي».

اضعفت مقاومتها كلمة الوحدة التي استخدمها بصدق وصراحة، كما تهاوت دفاعاتها امام احساسها بقربه منها. لم تحلم ابداً بمثل هذه اللحظة التي يحتضنها فيها جون تريكارل ويعرض عليها الزواج. واحست باصابعه تداعب شعرها... لم يرغب فيها احد حقاً حتى هذه اللحظة... لم يردها رجل من قبل كما يريدها جون الآن...

«كنت اعتقد انني اعجبك. انت تعجبيني يا تينا، أليس هذا كافياً؟».

شعرت بسعادة بالغة عندما كانت تأمل في تمضية بضعة ايام اضافية بصحبته. وها هي قادرة الآن، اذا ردت عليه بالايجاب، ان تمضي معه بقية حياتها... في جزيرته الجميلة، وان تتخلى نهائياً عن وحدتها وعزلتها المزعجتين. وسمعته يسألها بشيء من المرح:

«هل نمت؟».

ضحكت... تنهدت... ثم قالت:

«لا يمكنك ان تكون جاداً يا جون، فليس لدي الجمال والذكاء والخبرة التي يريدها رجل مثلك في شريكة حياته».

«يكفيني يا عزيزتي ان لديك ما اريده من لباقة وكياسة، واحساس ورقة، واخلاص وعدم انانية».

ضم وجهها بين يديه الدافئتين ثم انزلهما الى كتفيها وضمها اليه بحنان، فيما كانت شفتاها الناعمتان والبريئتان تنتظران.

وكأن صاعقة اصابتها.

طارت، حلقت، غابت، ذابت... واحتمت بكتفيه فطوقتهما بقوة وعصبية. لم تعد تفكر منطقياً بما سيحدث لاحقاً و...

«هل جوابك نعم؟».

ردت عليه هامسة دون ان تتمكن من رؤية عينيه لأنها دفنت رأسها في صدره:

«اذا كنت تريدني يا جون».

وتمنت ألا يندم... يجب ان يفرح، لا ان يحزن، لأنه طلب منها ان تتزوجه... ولأنها وافقت. ابعدها عنه برفق وقال لها بلهجة عادية:

«سوف نتزوج في الاسبوع المقبل ان شاء الله. وسأبدأ منذ غد باعداد الوثائق والترتيبات الضرورية».

سألته بخجل:

«وماذا عن ليزا؟ هل تعتقد انها ستمانع؟».

«ربما ستتضايق قليلاً في البداية. ولكنها ما ان تتعرف عليك جيداً. . .» وداعب شعرها مرة اخرى وغير الموضوع قائلاً:

«لا تحاولي تسريح شعرك بأي طريقة معينة يوم زفافنا. اتركيه كما هو الآن، فهو جزء هام من سحرك وفتنتك. هكذا كان عندما رأيتك للمرة الأولى. . . الجزء الوحيد المتحرر. مسكينة تينا، الفتاة الصغيرة الضائعة! هل لا تزالين ضائعة يا صغيرتي؟».

وقبلها على جبينها ثم ادار محرك السيارة وانطلق بها نحو لندن. وراح يحدثها عن منزلها في سانت مونيك المسمى بيت الماء الأزرق. وشرح لها عن تاريخه وعن انواع الزهور المختلفة التي تنبت في الحدائق المحيطة به. وقال لها ان سبب تسميته يعود الى وجوده على رأس تلة تشرف على البحر ومائه الصافي الذي يعكس زرقة السماء. ثم ابتسم وقال:

«اريدك ان تتصرفي كربة القصر دون تردد او حرج. لدي هناك عدد كاف من المساعدين والخدم، وجميعهم طيبون ودمثون ويتوقعون تلقي اوامرهم من السيدة الجديدة. وينتابني شعور قوي بأنهم سيفرحون كثيراً لأن السيد جون تزوج شابة صغيرة وجميلة مثلك».

وهزت تينا برأسها. انها ليست جميلة، ولكن كلامه عن جمالها يفرحها ويسرها. وتذكرت جملة قرأتها في احد الكتب وجاء فيها ان عظمة الحب لدى الانسان تكمن في حبه للآخرين اكثر من حب الآخرين له. فلسفة؟ ربما! ولكنها تحبه، وستتزوجه، وتصبح السيدة تريكارل. وتأملته بمزيج من السعادة والألم. . . السعادة لأنها ستتزوج من تحب، والألم لأنه اكتفى بكلمة اعجاب وتوقف عندها.

وتوقفت السيارة امام مبنى الجمعية حيث تقيم، وامسك بيديها الباردتين برفق وحنان ثم قال لها:

«لدي صديقة هنا في لندن هي السيدة لانيغ التي سيكون من

دواعي سرورها مساعدتك في انتقاء جهاز العرس. كما ان علينا شراء خاتمي الخطوبة والزواج».

واحس بيديها ترتجفان وبدت على وجهها وفي نظراتها بعض مشاعر القلق والانفعال. ضمها الى صدره وسألها ضاحكاً:

«هل انت خائفة مني؟».

ارادت ان ترد عليه بالايجاب، ان تعترف له بخوفها. وجهه غامض يخفي حقيقة مشاعره واحاسيسه مما يحرمها من التكهن بماذا يفكر او يخطط. وتصورت ايضاً انه حاد الطباع ولكن ببرودة اعصاب هائلة.

«الزواج يا تينا هو جنون ومغامرة ساميان بالنسبة للرجل، وكذلك للمرأة. ثم، ألم يخطر ببالك ايضاً ان اعصابي متوترة قليلاً، ولو من زاوية مختلفة، بسبب قراري الزواج منك؟».

دهشت واستغربت، وسألته مرددة كلماته كالصدى:

«بسبب الزواج مني؟».

«ان عمري هو ضعف عمرك تقريباً. ولكن، اللعنة، لا يمكنني ان اظل وحيداً!».

ثم شد على يديها وسألها:

«هل انت متأكدة من انك تريدين الزواج مني؟».

لم تكن متأكدة من اي شيء. كل ما تعرفه انها منذ تلك اللحظة على شاطىء تشورلي عندما استدارت وشاهدت عينيه، بدأت رحلة طويلة ستأخذها اما الى ذروة السعادة والفرح او قمة الألم والعذاب.

تنهدت واجابته بهدوء:

«نعم يا جون، اريد الزواج منك».

ضاعت مرة اخرى بين ذراعيه ولم يعد يهمها ماذا سيحدث لها مستقبلاً وماذا تخبىء لها الاقدار، وماذا ينتظرها في ذلك البيت الذي كان لجوانا.

اكتشفت تينا ان السيدة جاي لانيغ سيدة لطيفة المعشر في اواخر

الثلاثينات من عمرها، متزوجة من مدير احدى شركات الاعلان كان زميلاً لجون في جامعة اوكسفورد وظل صديقاً حيماً له منذ ذلك الحين. وافترضت تينا ان جاي كانت تعرف جوانا حق المعرفة وان تهذيبها وكرم اخلاقها يمنعانها من اظهار استغرابها ودهشتها لقرار جون الزواج من فتاة تختلف الى هذه الدرجة عن زوجته الرائعة الراحلة.

ولأنها ادركت ان وضعها الاجتماعي المقبل كزوجة لشخص مشهور مثل جون تريكارل سيفرض عليها تحولات جذرية، فانها لم تعترض او تجادل عندما طلب جون من جاي ان تأخذها الى احد ارقى المحال المتخصصة بثياب العرائس. وانهى توصياته بالقول:

«تمتعا بوقتكما، ولا تهمك التكاليف يا جاي».

ردت جاي على ابتسامته بالمثل وقالت بمرح ظاهر:

«عظيم! ستكون هذه المرة الأولى التي سأشتري فيها كمية كبيرة من الأشياء الجميلة دون ان اضطر لسماع صراخ تشارلي وتذمره بسبب ارتفاع الاسعار وكثرة المشتريات. قل لي يا جون، لماذا يدلل الرجل خطيبته وعروسه الى هذه الدرجة فيما يبخل على زوجته ويحرمها من امور عدة؟».

ابتسم تشاك لانيغ وازاح صحيفته من امام وجهه وقال مازحاً:

«لأنه يندم بعد مرور فترة من الزمن على الغنج والدلال اللذين ذهبا سدى».

ضحك الجميع وعادت جاي تقول:

«هذا ما يجب ان تتوقعيه يا تينا بعد بضع سنوات. فالغزل والكرم لا يدومان طويلاً مع الرجال».

ابتسم جون وقال لتينا بلهجة مرحة تحمل شيئاً من الجدية المبطنة:

«ها قد اطلعك هذان الصديقان العزيزان على الجانب السيء والمظلم للزواج فما رأيك يا تينا؟ هل تقررين الانسحاب طالما ان

الفرصة لا تزال سانحة؟».

ضحكت تينا وهزت برأسها نفياً وهي تضع يدها برفق وحنان على رأسه وتداعب شعره بهدوء ومحبة. وتمنت في تلك اللحظة ان تكون حياتها مع جون سعيدة كما هي الحال بين جاي وتشاك. ولاحظت تينا اثناء تناول الغداء ان تشاك اثنى على زوجته لوجودة الحلوى التي اعدتها، وان عيني جاي برقتا فرحا وسروراً. وقالت تينا لنفسها ان المرأة التي تحب زوجها حقاً هي التي تعد بعض المأكولات والحلويات المفضلة له، على الرغم من وجود طاه وخادمتين.

وفي اليوم التالي ذهبت جاي وتينا الى احد ارقى محال الأزياء في نايتسبريدج حيث رحبت بهما موظفة الاستقبال واتصلت فوراً بمديرة المؤسسة، التي كانت تنتظرهما بناء على اتصال سابق من جاي. استقبلتهما المديرة الأنيقة بتهذيب، مرحبة بجاي بطريقة توحي بوضوح انها تعرفها منذ زمن طويل. وشعرت تينا بأن مديرة المؤسسة علمت على الفور بأن هذه الشابة الخجولة لم تدخل مكاناً كهذا في حياتها. ومن المؤكد انها قدرت ثمن الفستان الذي ابتاعته تينا من تشورلي، الا ان تصرفها معها ظل طبيعياً ومهذباً وكأنها زبونة ثرية ودائمة. لم تبالغ في تدليلها كما انها لم تتصرف معها بجدية فائقة. وتبين لتينا انه يهمها في المقام الأول بيع ملابس انيقة وجميلة لأي سيدة تقصد مؤسستها، دوقة كانت ام ضاربة على الآلة الكاتبة. واكتشفت تينا فجأة انها لم تعد متوترة الأعصاب لوجودها في هذه المؤسسة الراقية، بل ارتاحت وبدأت تتمتع بما حولها وشاهدتها تشير الى احد المقاعد الوثيرة وهي تقول مبتسمة:

«تفضلي بالجلوس يا آنسة مانسون. سنريك حالاً مجموعتنا الحديثة والكاملة لثياب العرائس».

وبدأ الاختيار . . . هذا الفستان الرائع من هنا، وهذه العباءة الساحرة من هناك. وتسمع تينا بين الحين والآخر المديرة تقول لها باعجاب واضح:

«هذا هو الكمال بعينه! كأن هذه العباءة صنعت خصيصاً لك».

وتسمع جاي ايضاً تقول بسرور فائق:

«انا متأكدة تماماً من ان جون سيحب هذا الفستان بدرجة كبيرة، ففيه جاذبية ساحرة ويناسبك الى ابعد الحدود».

ابتسمت تينا بخجل وهي تتأمل نفسها امام المرآة. هل تحلم لا، انها هنا تشاهد هذا التحول الرائع في شخصها ومنظرها، وتتصور كيف سيكون موقف عمتها مود فيما لو رأتها في هذا الوضع الجديد المختلف. وفجأة احست بشيء من الرعب ينتابها بقوة. انها مقبلة على زواج قد يحمل تيارات خطيرة في حياتها ومستقبلها، كما ان لا احد لها تأتمنه على اسرارها او تطلعه على خفايا امورها. ويبدو على جاي انها لا تشك ولو لحظة واحدة بان جون ينوي الزواج لمجرد الهرب من وحدته القاتلة وعزلته الحياتية المؤلمة. وافترضت ان صديق زوجها لا يمكن ان ينفق مبالغ طائلة كهذه الا على شابة يحبها حباً شديداً.

وبعد اختيار جميع الملبوسات الضرورية، والاتفاق دون حساب حسب رغبة جون، توجهت جاي وتينا الى احد ارقى مطاعم المنطقة وتناولتا غداء شهياً. واثناء شرب القهوة، التفتت السيدة المتزوجة نحو صديقتها الجديدة وسألتها:

«انك تحبين جون حباً جماً يا تينا، اليس كذلك؟».

احنت تينا رأسها خجلاً وهي تهزه علامة الموافقة. فالخجل منعها من الاعراب عن حقيقة مشاعرها، خاصة وانها لا تعرف مدى السعادة التي بامكانها ان تمنحه اياها. وسمعت جاي تقول لها بصدق واخلاص:

«انه رجل محظوظ لأنه وجدك».

وتلعثمت تينا وهي تكشف بعضاً من اسرارها:

«اني لست معتادة على . . . على هذا النمط من الحياة. اني. . .

اني قلقة جداً من ارتكاب اخطاء فادحة. . . واعطاء الناس مجالاً. . . اوه، انت تعرفين ما اعني! كانت زوجته الأولى رائعة وجذابة. . . انا اعرف ذلك. كيف يمكنني يا جاي ان آمل في منافستها؟».

ربتت على يدها بحنان وقالت:

«لا تحاولي يا عزيزتي. كوني نفسك وكما كنت دائماً وسيحبك الجميع. ومن الواضح ان لديك كل ما يريده جون في زوجته. جون وانا متحمسان جداً لأنه سيتزوج مرة ثانية. انه رجل طيب جداً. . . وليزا بالتأكيد بحاجة الى ام وصديقة».

«آمل في الا تنفر مني الطفلة بأي شكل من الاشكال و. . .».

وضحكت بشيء من الخجل ثم اضافت:

«ها قد عدت مرة اخرى الى ايجاد مواضيع جديدة تقلقني وتخيفني».

«صحيح ان الاطفال ينفرون احياناً من زوجة الأب. ولكن ليزا كانت في عامها الأول عندما توفيت جوانا، وعليه فليس بامكانها اجراء اي مقارنة بينكما. انك تختلفين عن جوانا».

ثم تنهدت ومضت الى القول:

«كانت فعلاً رائعة الجمال وذات جاذبية ساحرة. ولكن لو اراد جون نسخة عنها، لتزوج ابنة عمها بولا كاريش التي تعيش في الجزيرة. ليس سراً على الاطلاق انها معجبة به وانها. . .».

وتوقفت فجأة ثم قطبت جبينها وسألتها بجدية:

«هل تعرفين تفاصيل وفاة جوانا؟ هل حدثك عن كيفية مقتلها؟».

هزت تينا رأسها فيما توترت اعصابها بعض الشيء وهي تحاول اخفاء انفعالها وتأثرها. صبت جاي لنفسها فنجاناً آخر وقالت بهدوء واضح:

«يجب اطلاعك على ما حدث. لقد وقعت من يخت احد اصدقاء

العائلة وغرقت. كانت ماهرة في السباحة ولكن رأسها ارتطم بحافة صخرة تحت الماء. كانت ليزا قربها عندما وقع الحادث، وظلت في حالة عصبية مروعة لساعات عدة خاصة بعدما شاهدت ما حدث لوالدها ايضاً. فقد شاهد جون الحادث وهو على الشاطىء وسبح نحو اليخت في محاولة يائسة لانقاذ جوانا. علقت رجله بين الصخور الحادة فسحبها بعنف وعصبية وهو يشاهد بقعة كبيرة من الدم تطفو على سطح الماء فوق المكان الذي وقعت فيه جوانا. اصيبت رجله بجرح بالغ وهاجمته سمكة قرش صغيرة... كانت مأساة بكل ما للكلمة من معنى. جوانا توفيت وجون كاد يفقد حياته... واشاعات تزيد من همومه وتقض مضجعه!».

وهمست تينا مكررة الكلمة باستغراب:

«اشاعات؟».

«نعم، عن علاقة مزعومة بين جون وبولا، لم تكن هناك بالطبع اي علاقة، الا ان ثمة اشخاصاً كثيرين لا يهمهم سوى الثرثرة وتداول الأقاويل وتلفيق القصص عن الآخرين. عملت بولا كعارضة لديه وهذا كل ما في الأمر. جون كان يحب زوجته بشكل لا يصدق».

وضحكت جاي ثم اضافت:

«على اي حال، انتهى كل شيء الآن، وها هو جون على اهبة حياة جديدة معك. وانا متأكدة من ان حياتكما معاً ستكون سعيدة للغاية».

ارغمت تينا نفسها على رسم ابتسامة خفيفة على وجهها، الا ان قلبها ظل منقبضاً واعصابها متوترة وافكارها ينتابها ذهول وانزعاج. فهي لن تواجه في سانت موتيك مجرد شبح امرأة جميلة وحسب، بل ايضاً امرأة جميلة اخرى تعيش هناك منذ سنوات وتتمنى الزواج من جون. بولا ابنة عم جوانا وكانت معها عندما قتلت، وهذا الأمر وحده يكفي لكي تعتبر اي امرأة يتزوجها جون... حتى ولو لم تكن

هي تحبه وتريده... عدوة لدودة لها! وخارج المطعم، توقفت جاي امام بائعة ازهار وقالت بلهفة:

«يجب ان ابتاع باقة من هذا النوع بالذات! انه فصل الربيع... فصل السعادة والهناء!».

ثم التفتت نحو تينا وقالت لها فجأة:

«اسمعي! لماذا لا تمضين الأيام القليلة المقبلة معنا؟ لدينا غرفة جاهزة للضيوف واعتقد ان وجودك مع اصدقاء افضل لك من وجودك مع غرباء. اعني، ان الفتاة تكون عادة متوترة الاعصاب ولو قليلاً قبل زواجها وتحتاج الى صديقة. هل تعجبك الفكرة؟».

«ان ذلك لمن دواعي سروري وامتناني البالغين!».

وفي اليوم التالي حضر جون الى منزل تشاك وجاي واخذ تينا الى احد افضل محال المجوهرات في شارع بوند لشراء خاتم خطوبة. تأملت تلك الخواتم الرائعة بذهول ولم تجرؤ على اختيار اي منها خوفاً من ان يكون ذا ثمن خيالي.

«هيا يا حبيبي، اختاري الخاتم الذي يعجبك. ما رأيك بهذا... او بذاك؟».

اعجبها خاتم جميل ولكن لم يكن له ذلك التألق والانبهار مثل الآخرين، فقررت اختياره ظناً منها انه لا يمكن ان يكون مرتفع الثمن كغيره. اومأت اليه باصبعها وتمتمت بخجل:

«هذا خاتم جميل».

«اذن لنجربه».

ولما ادخل اصبعها فيه وتبين لها انه يناسبها جداً، ابتسم وقال لها:

«انه جميل جداً. هل تريدينه؟».

احمرت وجنتاها خجلاً وهزت برأسها علامة الموافقة. ابتسم مدير المؤسسة بارتياح ظاهر وقال لجون:

«من المؤكد ان الآنسة ذواقة جداً يا سيدي، اذ يمكن القول بلا

تردد ان الياقوت هو اجمل واروع الأحجار الثمينة والنادرة».

الياقوت! تطلعت تينا الى جون بخوف واضح، الا ان نظراته الحنونة والهادئة اكدت لها انه لن يقبل اي اعتراض من جانبها كما انه لن يتوقف عند اي حد في تدليلها. ثم سمعته يقول:

«والأن حان دور خاتم الزواج، أليس كذلك؟».

احضر مساعد المدير علبتين مخمليتين تضمان احدث مجموعة من خواتم الزواج، فأختار جون احدها بعد ان تأمل المجموعة بعين فاحصة خبيرة. وما ان جربته ورفعت رأسها سعيدة لتخبره بأنه يناسبها، حتى فوجئت باختفاء ابتسامته وتوتر اعصابه. انه يتذكر خاتم الزواج الأخر الذي ابتاعه لجوانا.. والذي كان يشع ويبرق حول اصبعها عندما كانت تغرق وتموت... خلعت تينا الخاتمين ووضعتهما بهدوء في العلبة المخملية، فقال لها بحدة:

واعيدي خاتم الخطوبة الى اصبعك!».

حدقت به دون ان تتفوه بشيء. ارادت ان ترفض... ان تقول له انه لا يحبها... وانها بالتالي لا يمكن ان تقبل خاتمه... او ان تتزوجه!

واعيديه الى اصبعك!».

قالها مرة ثانية وهو ينظر اليها بشيء من التحدي. ثم بدا انه انتبه لما تعاني منه وللأفكار التي تتصارع في رأسها وقلبها. فأخذ الخاتم بيد وامسك يدها بيده الاخرى وقال لها بصوت حنون هادىء:

«دعيني انا اضعه حول اصبعك الجميل».

وخرجا صامتين جنباً الى جنب نحو السيارة. وكانت تينا متأثرة لأنها شعرت بأن عليه ان يمسك بيدها كمراهقين عاشقين، لا ان يمشي قربها كشخص غريب. انها تحبه كثيراً وتريده ان يحبها، لا ان يكتفي بشراء المجوهرات الثمينة والملبوسات الرائعة. لماذا يريد الزواج منها ان لم يكن يحبها؟ ألانها لا تؤثر او تتدخل في شؤون الأخرين؟

وحدث كل شيء بسرعة فائقة، أليس كذلك يا تينا؟ بعثت اليوم ببرقية لليزا اخبرها فيه عن زواجنا، واعددت الترتيبات كي يتم الزفاف يوم الجمعة».

هزت برأسها دون ان تنظر اليه. وسمعت في تلك اللحظة اغنية عن غريبة على الشاطىء فزاد تأثرها. سوف تتزوج جون... ولكنها تعلم ان حبها له لن يتمكن من ابعاده عن شاطىء الذكريات... ذكريات حبيبته الراحلة!

٣- طفلة . . أم زوجة؟

أقامت جاي ليلة الخميس حفلة عشاء صغيرة تكريماً لجون وتينا دعت اليها عدداً من اصدقاء جون وتشاك . ولأن تينا ارادت ان تكون موضوع فخر خطيبها واعتزازه، فقد ارتدت احد اجمل فساتينها الجديدة وتبرجت وتعطرت قبل ان تنزل الى قاعة الاستقبال الفخمة في منزل لانينغ.

وبما ان تشاك كان يرتدي ملابسه وجاي تضع اللمسات الأخيرة على اطباق الطعام الشهية المعدة للضيوف، فقد راحت تينا تتأمل تلك الغرفة الكبيرة الجميلة وتستمع الى انغام موسيقية حالمة تنساب في ارجائها بهدوء ونعومة. وابتسمت بشيء من الانفعال عندما تخيلت نفسها بعد يومين فقط سيدة قصر جميل وربة بيت عليها اقامة

حفلات واستقبال شخصيات مرموقة. ارادت ان تضحك . . . ان تبكي . . . ان تمزج بين الضحك والبكاء. وكادت توقع من يدها اناء فخارياً اثرياً عندما سمعت جرس الباب. نادت لجاي وتشاك بأنها هي التي ستفتح الباب، وتوجهت على الفور الى المدخل الرئيسي للبيت.

شاهدت الرجل الذي ستتزوجه في اليوم التالي والذي سيغير اسمها الى تينا تريكارل، فاحمرت وجنتاها وأذناها. فتحت له الباب، فدخل وهو يقول لها باسماً:

«انك تبدين مغرية وجذابة الى ابعد الحدود هذا المساء. أين تلك الفتاة تينا صاحبة الشعر المتطاير والعينين الكبيرتين الحالمتين التي تعرفت عليها على شاطىء تشورلي؟».

اجابته بهدوء وخجل وقد ذابت يداها بيديه:

«أوزتك البسيطة القادمة من تشورلي لا تزال هنا يا جون، تحت كل هذا الريش الفاخر الذي تراه الآن امامك».

اعجبه جوابها جداً فابتسم ورفع يديها الى فمه وقبلهما بمحبة وحنان. وكانت تلك الجملة على ما يبدو بداية طيبة لسهرة رائعة امضاها الجميع بفرح وسرور. وكان آخر المغادرين جون الذي ذكّر خطيبته بأن مراسيم الزواج ستتم في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي في مركز الزواج المدني بحي تشلسي. وأبلغها بأنهما سيتناولان غداء العرس بعد ذلك مع جاي وتشاك في مطعم كلاريدجز، ثم يتوجهان الى فندق صغير في مقاطعة سري حيث يبيتان ليلتهما قبل مغادرتهما بريطانيا الى جزيرة سانت مونيك. وسألها باسماً:

«هل من مانع لديك لتمضية شهر العسل في الجزيرة والسماح لليزا بأن تشاطرك التمتع بوجودي؟».

شعرت بأنه يضع هذه المعلومات على شكل سؤال لأنه رجل مهذب ليس الا. اجابته بكلمة واحدة، مع انها كانت تحس في قرارة نفسها انها تفضل الاختلاء والاستئثار به بعض الوقت قبل ان تبدأ

ممارسة مهامها كزوجة أب ومربية. ولكن لا سبيل لذلك، فالطفلة تأتي في المقام الأول وعليها ان تتقبل هذا الواقع. قبلها على خدها وحيا جاي وتشاك متمنياً للجميع ليلة هانئة ثم توجه الى بيته. فعلت تينا نفس الشيء وتوجهت الى الغرفة المعدة لها. كانت متعبة ولكنها لم تتمكن من النوم بسبب توتر اعصابها. وفجأة دق الباب وسمعت جاي تسألها ان كان يمكنها الدخول.

«بكل سرور».

دخلت جاي ومعها ابريق من الشاي الساخن وعلى وجهها نظرات اهتمام حقيقية. قالت لها مواسية:

«شعرت بانزعاج كبير في الليلة التي سبقت زواجي. لم أكن احب تشاك وأردت ان ألغي الزواج. هيا اشربي هذا الشاي الساخن الممزوج بالنعناع».

شربت بصعوبة... اذن فهي ليست وحدها التي تشعر بالخوف والقلق في ليلة كهذه، والأسباب العديدة التي تحملها على التفكير بطلب الغاء الزواج...

«هل بدأت المياه تعود الى مجاريها الطبيعية؟».

ابتسمت تينا وقالت لمضيفتها الطيبة التي جلست قربها على السرير:

«نعم، وشكراً على مجيئك. كنت على وشك ان أصاب بهلع وقلق بالغين».

«انه رد فعل طبيعي يا تينا. فالفتاة عادة لا تتزوج الا مرة واحدة في حياتها. وثمة فارق كبير بين ان تحب الفتاة رجلا وان تعيش معه».

ثم ابتسمت وأضافت:

«انني من الذين يعتقدون ان فترة الغزل والتودد التي تسبق الزواج هي اجمل جزء في لعبة الحب... على الأقل من وجهة نظر الفتيات. وأنت يا تينا لم يكن لديك الوقت الكافي لمعرفة جون على حقيقته. ولكن صدقيني انه رجل عظيم».

صحيح... ثمة فارق كبير بين حب الرجل والعيش معه. ولكن هناك شيئاً تشكر الظروف عليه. فمع ان حادثة جوانا احزنت جون كثيراً طوال السنوات الثماني الماضية وربما جعلته لاذعاً الى حد في سخريته، الا انها لم تحوله الى رجل متحجر القلب يحاول الانتقام من نفسه ومن الآخرين. فمع تلك الثقة القوية بالنفس والتظاهر احيانا باللامبالاة او عدم التأثر بمشاكل الآخرين، ما زال رجلا بحاجة للحب والسلوى. وشرد تفكيرها فجأة الى موضوع حسّاس جداً... الى احدى اسمى النتائج التي يتمخض عنها الزواج... الأولاد! وتحمست، وبرقت عيناها بشعاع الفرح والبهجة. انها تحب كثيراً ان تصبح أماً حقيقية وان تغدق على طفلها، صبياً كان ام بنتاً، كل ما لم تجده هي في طفولتها... الضحك، التفهم، الحنان، الحب بالأطنان. وأحست بيد جاي تربت على كتفها وسمعتها تقول لها بمودّة:

«لا تخافي من عدم قدرتك على منافسة جوانا. عندما تكون المرأة جميلة جداً فانها عادة تريد عبودية الرجل اكثر من حبه او دفئه. تريد منه ان يضعها طوال الوقت فوق قاعدة عالية كتمثال رائع ونادر الوجود. فهل تفضلين هذا الوضع المتعب والمرهق؟».

ضحكت تينا بارتياح ظاهر وقالت بامتنان:

«اني سعيدة جداً لوجودي هنا يا جاي، فمعظم الأمور تبدو افضل بكثير مما كانت عليه قبل فترة قصيرة».

«عظيم. الآن يجب ان تنامي وترتاحي، لأننا لا نريد مشاهدة عروستنا الحلوة تتثاءب اثناء زفافها غداً».

أحضرت لها الخادمة فطورها صباح اليوم التالي، فتناولت طعامها في السرير. ثم أتت جاي وبدأت تساعدها على تزيين نفسها استعداداً لحفل الزفاف. سمعتا جرس الباب وبعد دقيقتين ظهر تشاك وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

«معي علبة للعروس. هل ارميها لكِ؟».

هزت جاي رأسها وقالت له بلهجة تجمع بين الجدية والضحك:

«طبعاً لا، ايها الدخيل المزعج! سلّمنا اياها باليد فقد يكون بداخلها شيء معرض للكسر».

«أشك في ذلك كثيراً».

وذهب ضاحكاً ليعود بعد لحظات ومعه علبة بيضاء طويلة تحمل الاسم المشهور، وولف. نظرت اليها تينا بلهفة وحماسة ثم قالت لجاي متوسلة:

«افتحيها أنت يا جاي، فيداي ترتجفان».

مزقت جاي الورقة الجميلة التي تلف العلبة وتأوهت باعجاب بمجرد ان فتحت الغطاء وشاهدت معطف الفرو الرائع الجمال الذي كان بداخلها. رفعت المعطف الغالي الثمن فشهقت تينا بدورها ووضعت يدها على فمها لتكتم صرخة اعجاب. وقعت من المعطف بطاقة صغيرة فالتقطها تشاك واعطاها لتينا، التي اخذتها منه بيد مرتعشة وقرأت الكلمات الخمس المكتوبة عليها:

«تينا، يوم زواج سعيد. جون».

تنهدت تينا وقالت لمضيفيها بتأثر واضح:

«انه من جون! أليس رائع الجمال؟».

وضمت المعطف الى صدرها ودفنت وجهها في فروه الناعم، وهي تشعر بأن حبها لجون يكاد يمزق غشاء قلبها الطيب الجائع.

«لم تكن هناك أي حاجة لذلك! ولكن، أليس ساحراً وجذاباً هذا المعطف؟ ... معطف من الفرو النادر والثمين لي... لي أنا!».

ابتسمت جاي وقالت لها:

«مبروك، ولكن لا يمكنك ان تظلي واقفة هكذا طوال النهار. ان لم أتمكن من انهاء المهمة الملقاة على عاتقي، فسوف تتأخرين وترغمين عريسك على الانتظار... وهو أمر لا يحبه كثيراً».

ابتسم تشاك وقال ان انتظار عروس مثل تينا هو أمر يتمناه مئات

الرجال. ثم غمزها مشجّعاً وغادر الغرفة متوجهاً الى قاعة الجلوس.

وشعرت بموجة دافئة من الارتياح والثقة بالنفس تداعب قلبها. اهداها معطفاً من الفرو النادر وتمنى لها السعادة في يوم عرسها. انها الهدية التقليدية للرجل العاشق، الذي تسمح له ظروفه المادية بذلك. لم يهمها كثيراً انه لم يضف كلمة حب الى بطاقته. وانتهت جميع الترتيبات ونزلت جاي وتينا الى القاعة الرئيسية. رمى تشاك مجلته جانباً ووقف وهو يبتسم ويبدي اعجاباً حقيقياً بالعروس الحلوة:

«صديقي رجل محظوظ جداً يا عزيزتي!».

ضحكت جاي وقالت لزوجها مازحة:

«لو لم اكن اعرف مدى حبك لي وصداقتك لجون، لكانت الغيرة أكلتني. انها فعلاً ساحرة في جمالها وأناقتها».

ثم نظرت الى ساعتها وأضافت:

«هيا بنا، لقد تأخرنا».

«بضع دقائق ايتها الزوجة الحبيبة. اني انتظر... اوه، هذا جرس الباب!».

وتوجه بسرعة الى المدخل الرئيسي فيما رفعت جاي حاجبيها وتمتمت باستغراب:

«ماذا يفعل هذا الرجل الآن؟».

واكتشفت الجواب بعد لحظات عندما عاد تشاك ومعه باقة من ورود شهر العسل الصفراء الذهبية. واحمرّ وجهه عندما اعطى الباقة لتينا وهو يقول لها:

«اتصلت بعدد كبير من محال بيع الأزهار قبل ان اجد هذه الباقة المتواضعة. احرّ تمنياتي القلبية ايتها العزيزة».

تأثرت تينا كثيراً وقبلته على خده وهي تقول:

«أوه، تشاك! شكراً... شكراً جزيلاً لكما... على كل ما قمتما به نحوي!».

وعلى الرغم من قلق جاي وخوفها من التأخير، فقد وصلت مع زوجها وتينا الى مكتب الزواج المدني قبل جون. تركت تينا معطفها في سيارة تشاك ووقفت صامتة وهي تحتضن باقة الورود الصغيرة ولا تسمع سوى نبضات قلبها. ووصل العريس فأحست العروس بأن قلبها يقفز من مكانه، وشعرت بأنها تريد الاندفاع نحوه ومعانقته. أمسك بيدها اليسرى وشدّ عليها مشجعاً وهو يقول:

«مرحباً ايتها العزيزة! انك تبدين انيقة جداً».

ضحكت بخجل وقالت:

«هذه نتيجة الأعمال اليدوية لجاي».

وفيما كانوا يدخلون المكتب احست تينا بتوتر شديد في اعصابها. لا تراجع بعد الآن! وعندما اجابت المسؤول الموجود هناك بكلمة بسيطة واحدة، نعم، وشعرت بخاتم جون يلف اصبعها... تأكد لها انها اصبحت منذ تلك اللحظة السيدة تريكارل. ابتسم جون وقبلتها جاي مهنئة ومباركة زواجها ومتمنية لهما حياة طويلة وسعيدة.

توجه الأربعة بسيارة تشاك الى كلاريدجز حيث كان جون قد اتفق مسبقاً مع الادارة على اعداد غداء خاص جداً. واثناء شرب القهوة، نظر تشاك الى جون وتينا قائلا بمحبة واخلاص:

«اننا نتمنى لكما اجمل الأيام وأفضلها. وأتمنى ايضا ان تكون حياتكما سعيدة كما هي حياتنا نحن، وعندها لن تكون لديكما أي اسباب للتذمر او الشكوى».

نظر جون وتينا الى بعضهما طويلا، حبست تينا اثناء ذلك انفاسها تحسّباً لما سيقوله زوجها. وجّه اليها ابتسامة شبيهة بتلك التي فازت بقلبها وحبها على شاطىء تشورلي وقال:

«سأحاول جاهداً الا اجعل تينا تندم على زواجها مني».

ارادت ان تجيبه، بأنه ليس بامكانه ابدا ان يجعلها تندم على الوقوع بحبه. ولكن جون لم يطلب حبها... لم يطلب منها سوى

وجودها معه وتحمّله، وذلك مقابل منحها بيتاً خاصاً بها... ورحلة عبر الأفق الذي اعتادت على مراقبته بشوق وشغف. بعد ربع ساعة، ودّعا جاي وتشاك وتوجها نحو لندن وسألها فجأة:

«هل كتبت لعمتك تخبرينها بأمر زواجنا؟».

«لا، لم اظن انها ستهتم بهذا الأمر».

نظر اليها جون وقال لها بمزيج من الذكاء والحنان:

«مسكينة تينا الصغيرة! حرمت من طفولة هانئة وطبيعية، وها هي الآن تحرم من تاج الزواج الكنسي!».

ردّت محتجة:

«لم أرد هذا التاج».

«ولا سماع تلك الأنغام التقليدية الحالمة عن قدوم العروس او عن الحب الكامل والزواج السعيد؟».

«لا... لا!».

وأبعدت نظراتها عنه وهي غارقة في تأملات وأفكار متناقضة. هل احس بحقيقة مشاعرها تجاهه؟ هل يسخر منها ويتهكم عليها؟ هل يسخر من عروسه الصغيرة الخجولة ذات الأفكار السطحية التي يجب عليها الا تأخذ بجدية بالغة الدور الذي قرره لها في حياته؟ وشعرت بالسيارة تتوقف ثم سمعته يقول وهو يشير الى الفندق الذي سينزلان فيه تلك الليلة:

«هذه هي المرة الأولى التي نختلي فيها ببعضنا منذ عدة ايام. هل تشعرين بشيء من الغرابة، يا تيان؟ هل تدركين انك اصبحت زوجتي؟».

حدقت به صامتة لا تعرف ماذا تقول او بماذا تعلق على تساؤل كهذا. زوجته! صحيح... بكل ما لتلك الخطوة من ايجابيات وسلبيات! اقترب منها وقال ضاحكاً فيما كان يبحث عن الدبوس الذي يثبت قبعتها:

«أوه، لننتزع هذا الشيء السخيف ونمتع النظر بالشعر

الجميل!».

ورمى القبعة الى المقعد الخلفي وتطاير الشعر بحرية واغراء. داعب شعرها برقة وحنان ثم ضمها نحوه وعانقها طويلا. ولما رفع راسه، سألها متمتماً:

«هل أنت خائفة مني او ان اعصابك متوترة؟».

نظرت اليه بعينين واسعتين لا تعرفان الكثير عن الرجال وشهواتهم، وأجابته بتلعثم واضح:

«ليس... ليس منك. ربما... الى حد قليل... من نفسي. لم... لم أقم في حياتي علاقة مع... مع أي شاب و... و...».

وأخذت نفساً عميقاً ثم تابعت كلامها وقد احمرت وجنتاها وأذناها خجلا وانفعالا:

«لا أعلم ماذا... ماذا على الفتاة ان تفعل كي... كي...».

«كي تدخل البهجة الى قلب الرجل؟».

سألها بوداعة وحنان محاولا تهدئة اعصابها والتخفيف من حدة توترها. ثم وضع يديه برفق على كتفيها وتابع حديثه بنعومة وهدوء:

«ما هو شعورك الآن؟ الحب امر غريزي يا تينا، فافعلي ما تمليه عليك ارادتك ومشاعرك لا اكثر ولا أقل».

ترددت، لأنها لا تعرف ماذا تفعل. ولكن تشوقها لارضائه دفعها لأن ترفع يدها بخجل وتلمس ذقنه ووجهه وصدغه. وما ان وصلت يدها الى شعره حتى قال لها بلهجة جافة بعض الشيء، وقد بدا بوضوح انه اساء فهم تصرفها وهدف مداعبتها:

«هل تلاحظين الفارق الكبير في العمر؟ هل يقلقك هجوم الشيب على شعري؟».

هزت تينا رأسها وهي تردد بصوت حنون وناعم قول احد الشعراء ان الشيب تاج يكلل هامة الرجل. ابتسم بارتياح صادق وقال:

«انك حقاً فاتنة يا صغيرتي، ربما كان عليّ ان اتركك في سباتك كي يأتي فارس احلام في مقتبل العمر والشباب ليوقظك ويحلق بك الى...».

قاطعته بسرعة مبدية احتجاجاً صادقاً ونابعاً من القلب:

«أنا لا يعجبني الشبان الصغار. تعجبني... تعجبني طيبتك وكرمك نحوي».

«لا تتصوري ابداً انني تزوجتك لكرم الأخلاق او بهدف المساعدة».

ثم وضع يده على كتفها وأضاف قائلا بلهجة جادة:

«اني اريد زوجة يا تينا، وليس طفلة ترقص وتتدلل على هاتين الركبتين تأكل قطعة من الحلوى او تتلهى بلعبة صغيرة. ارجو ان تفهمي ذلك جيداً!».

«طبعاً يا جون».

دخلا الفندق الصغير فأرشدهما مالكه الذي يديره بنفسه الى غرفتين مجاورتين ثم أبلغهما بأن العشاء يقدم في السابعة والنصف.

وبعد ان غادرهما الرجل سمعت جون يسألها من غرفته:

«يمكننا ان نقوم بنزهة قصيرة في الجوار قبل العشاء. فما رأيك؟».

اعجبتها لهجة الدلال في سؤاله فابتسمت وأجابته بهدوء:

«يسرني ذلك كثيراً».

«حسناً. سأحضر غليوني وأنضم اليك فوراً».

حركت اصابعها بطريقة لاشعورية فأحست بالخاتم الذهبي يداعب يدها. انها الآن سيدة متزوجة! يا لغرابة هذا الشعور الذي انتابها عندما شاهدت رجلا طويل القامة يدخل غرفة نومها، وله كامل الحق بذلك.

«مستعدة؟».

وضعت يدها في يده الممدودة نحوها وهزت رأسها علامة الموافقة

والترحيب فيها افتر ثغرها عن ابتسامة بريئة وجميلة. وفي داخل تلك
الغابة المحيطة بفندقها الجميل، رفعها جون ووضعها على جذع
شجرة باسقة وراح يتأملها باعجاب بالغ. ثم قال لها:
«انك تبدين الآن كإحدى تلك التلميذات في لوحة كاتي هوبكنز
المشهورة. سيقول الجميع انني اختطفتك من احد الصفوف
المتوسطة».

انها تدرك تماماً ان وجهها وجسمها لا يعكسان ابداً حقيقة سنها،
وان بعض الناس قد يقولون انها ليست اكبر بكثير من ابنته. ابتسمت
وسألته بهدوء:

«وهل يزعجك او يضايقك ان يقولوا ذلك؟».

«ليس الى درجة كبيرة. يمكن للثرثرة والأقاويل ان تشكّل مصدر
غيظ وانقباض للانسان ولكنها من النادر ان تكون مميتة او
قاتلة».

جذبت غصناً صغيراً وتظاهرت بأنها تتأمل وريقاته. فمع انه قال
ان الاشاعات ليست مهلكة، الا انه كانت ثمة اقاويل عن علاقته
المزعومة بابنة عم جوانا. هل وقعت جوانا في ذلك اليوم المشؤوم قبل
ثماني سنوات لأن الحزن والشك كانا يسودان افكارها ومشاعرها
ويجعلانها اقل عناية واهتماماً بنفسها؟

«هل يقلقك يا تينا ان يصفونا بالكهل والمراهقة؟».

كان يبتسم ولكنها اجابته بجدية:

«لا يقلقني سوى رد فعل ليزا. فمن الأهمية بمكان في أي زواج ثان
الا يكون الاطفال متعضين او مستائين. وأنا لم تسنح لي الفرصة
بعد كي اتعرف على ليزا قبل ان آخذ منها والدها ولو بصورة
جزئية».

«الأطفال يا عزيزتي مخلوقات قابلة للتكيف وابنتي بحاجة لأم،
لانسانة يمكنها ان ترتاح اليها وتكشف لها عن اسرار قد تخجل او تمتنع
عن الافضاء بها لأبيها. صدّقيني يا تينا انني كنت أفكر بها ايضا عندما

اخترت الزواج منك. فكونك طفلة يتيمة يجعلك تشعرين اكثر من
غيرك مع اطفال في وضع مماثل. وأنت تعرفين ايضا كيف يشعر اي
طفل يحرم من حنان الأمومة وعاطفتها. وليزا طفلة ذكية، وسوف
تدرك على الفور الرابط القوي الذي يجمع بينكما».

«اذا كانت ليزا مثلك يا جون، فاني متأكدة من انني سوف...
اقيم معها علاقة طبيعية وطيبة».

لم تتمكن من استخدام كلمة حب. لم ترد ان تكشف له عن عمق
مشاعرها نحوه، وبخاصة بعد ان اخبرها صراحة ان سبب اختياره
لها زوجة كان بدافع الاهتمام بحاضر ابنته ومستقبلها! وفي طريق
عودتها قالت له بهدوء:

«كان علينا ان نصوّر فندق... شهر العسل».

«يمكنك ان تفعلي ذلك في الصباح، ايتها الصغيرة».

ثم أضاف بشيء من الجدية:

«لا تأخذي مني موقف الدفاع يا تينا. فأنا لا انتظر اغراء امرأة
مجربة ومحنكة من فتاة بمثل تربيتك وتهذيبك. ولمعلوماتك، فالبراءة لها
فتنتها وسحرها... واغراء خاص بها».

«اريد ان أكون زوجة لا تخيّب ظنك او آمالك».

«الزواج، كما قلت لك سابقاً، مقامرة بالنسبة للزوجين.
وربما خاب أملنا نتيجة لهذه القفزة التي قمنا بها معاً في ظلام
المجهول».

تألمت... تأثرت... هل يفكر بجوانا والسعادة التي تقاسماها؟
هل يتوقع ألا تكون حياته مع تينا شبيهة بحياته مع جوانا؟ ودخلا
الفندق فيما كان العمل قائماً على قدم وساق استعداداً لتقديم العشاء
الى النزلاء. ارتدت تينا الملابس التي اقترحتها جاي لعشاء هذه الليلة
بالذات. وتذكرت ما قالته لها من ان توتر الأعصاب في الليلة الأولى
لا يقتصر على النساء فقط، فكثيراً ما يكون الرجال... حتى
المجرب والمحنك بينهم... متوتري الأعصاب الى درجة مماثلة، ولا

بأس من تهدئتهم وتلطيف أعصابهم بارتداء ملابس معينة. توجهت الى النافذة وراحت تتأمل الحديقة الجميلة وتنشق الروائح العطرة التي تنبعث منها. سمعت طرقة على الباب الذي يفصل بين غرفتيهما فلم ترد او تلتفت الى الوراء. ارادت ان يقترب منها ويطوقها بذراعيه ويشم الرائحة الطيبة التي عطرت نفسها بها. ولكنه لم يدخل الغرفة، بل سألها:

«الا تنوين النزول معي للعشاء؟ اني اتضوّر جوعاً».

وفيما كانا يتبعان نادلا الى طاولتهما سمعت سيدة مسنّة تقول لزوجها:

«ما اجمل هذين النزيلين الجديدين! انهما بلا شك رجل وابنته يمضيان عطلتهما معاً».

ارادت تينا ان تنشقّ الأرض وتبتلعها. وعندما تجرأت اخيراً ونظرت الى جون لتتأمل رد فعله على تلك الملاحظة، شاهدت وجهه متوترا ترتسم عليه ملامح القسوة. تناولا طعامهما بصمت تام وكانت تينا حزينة ومتضايقة بحيث لم تتمتع بالعشاء الشهي، فيما كان جون يأكل بحماسة ودون انفعال. وبعد شرب القهوة، اقترح عليها جون ان تذهب الى النوم... اذا كانت ترغب بذلك، وهو سيمشي قليلا في الخارج ويدخن غليونه. وقفت وهي لا تدري ماذا تفعل. انها ليلة عرسهما، ومع ذلك لم تبدر منه اشارة دفء او حنان.

«اني متعبة قليلا. هل سأراك... في وقت لاحق الليلة؟».

«اذا كنت نائمة عند عودتي فلن ازعجك».

نامت بعد عناء وحلمت بأن بعض الأصدقاء يقيمون لها حفلة عيدها الحادي والعشرين. وتأهبت لاطفاء الشموع... وأفاقت من حلمها وهي تنادي زوجها بطريقة لاشعورية. دخل غرفتها وكان على ما يبدو قد عاد من نزهته، وقال لها بحنان واضح:

«عودي الى النوم يا حبيبتي. كان هذا يوماً طويلا ومرهقاً بالنسبة

لك. وغداً سنمضي الساعات الطوال في السفر المتعب والمضني».

ومع انه استخدم تلك الكلمة الرقيقة، الا انها احست بأنه يتحدث الى طفلة... الى ليزا؟ ولكنها ليست طفلة... انها زوجته! رمت الغطاء عنها بعصبية عندما ادار ظهره وعاد الى غرفته، ولحقت به حافية القدمين وهي تقول له بشيء من الحدة:

«جون، لا تعاملني كطفلة! عندما كنا في السيارة، كنت... كنت مخطئاً! اني مستعدة لأكون زوجة لك، لا مجرد رفيقة او صديقة. اريد مساعدتك لكي تنسى...».

«انسى ماذا؟».

«انت... انت تعرف!».

نظر اليها بقسوة ظاهرة وقال بعصبية:

«زواجي الأول؟ هل هذا ما تشيرين اليه؟».

تراجعت الى الوراء خائفة من تلك النظرات القاسية وبدا انه رجل غريب قادر على القيام بأي شيء. امسك بكتفيها وقال لها:

«الحديث عن زواجي الأول لا يأتي بسهولة يا تينا. وربما عليك ان تعرفي الآن وليس في وقت لاحق ان هناك اموراً افضل ان تبقى طي الكتمان. اذا ظلت هذه الأمور على ما هي فانها لا تؤذي كثيرا. اما بالنسبة لنسيانها، فاني اشك كثيراً في امكانية ذلك».

«انا... انا آسفة جداً... يا جون».

لم تكن الكلمات كافية ولم تتمكن من منحه حبها. لم تقدر ان تقول له انها تريده بالرغم من كل شيء. وارتعش جسمها عندما ابعدها عنه برفق قائلا:

«عودي الى سريرك يا تينا. انك تبدين مرهقة جداً».

«جون... هل ندمت على هذا الزواج؟».

«اعتقد انها فكرة جيدة ان يتعرف كل منا الى الآخر بطريقة

افضل. هذا ما تفضلينه أنت، أليس كذلك؟».

هزت رأسها وهي تعلم ان هذا ما يريده هو...

«هيا، لأضعك في السرير».

حملها بين ذراعيه ووضعها في سريرها برفق وحنان ثم ازاح خصلات من شعرها عن عينيها قائلا:

«تصبحين على خير يا عزيزتي».

ظلت تنظر اليه كطفلة صغيرة تتطلع الى والد محب وحنون. احنى رأسه وهو يبتسم ثم طبع قبلة خفيفة على جبينها وغادر غرفتها دون ان ينظر وراءه.

وهكذا... انتهى يوم زفافها!

٤ - سانت مونيك... وبيتها

نظرت تينا الى النافذة وعبرها الى الفضاء المحيط بالطائرة الضخمة، التي كانت تقلها الى بيتها الجديد وحياتها الجديدة. ولم تعد تسمع حفيف اوراق الصحيفة في يدي جون، فعلمت انه توقف عن القراءة وراح يحدق امامه يفكر بالجزيرة وبكل ما يحبه فيها، وما يجرح. عضت شفتها بقسوة وتمنت لو ان ليلتها الأولى كانت مختلفة... كانت بعض الحواجز ستنهار، وكانت ستضع رأسها على كتفه وتشعر بانها زوجة حقيقية...

«هل انت متوترة الأعصاب يا تينا؟».

كان يمسك يدها ويشد عليها، وكانت ابتسامته توحي بحزن وأسى. اعترفت له بشيء من الحقيقة قائلة:

«قليلاً».

«سوف تهدأ اعصابك قريباً، اذ اشك في ان تكون ليزا خجولة جداً معك... ان كان هذا ما يقلقك. فعندما تلاحظ حداثة سنك، ستعتبرك على الأرجح صديقة ورفيقة احضرها لها والدها المحب من لندن».

احست تينا بأن تلك اللهجة المرحة المشجعة تخفي وراءها شيئاً من الجدية. وشعرت بأن جون ربما كان بعيد النظر بجدوى زواجهما، وخاصة بعد الملاحظة السخيفة التي سمعاها من تلك السيدة العجوز، والتي اشارت اليهما كرجل وابنته. وارادت تينا ان تقول له صراحة انها لا تشعر من قريب او من بعيد انها كابنته، ولكن الطائرة ليست المكان المناسب كما ان الوقت ليس ملائماً. كل ما كانت تأمل به في تلك اللحظات هو ان تتحسن الأمور بينهما بمجرد استقرارهما في الجزيرة. يجب ان تتحسن الأمور! انه يعني لها كثيراً... اكثر بكثير مما يمكنها وصفه بالكلمات! وحاولت تينا ان تبعد افكارهما عن الأمور الخاصة والاحاسيس الدفينة، فراحت تمطره باسئلة عن الجزيرة. وبدا انها نجحت في مهمتها، اذ ظهر الارتياح على وجه جون وهو يخبرها عن البيت والعمال المحليين وحقول الحمضيات الضخمة التي يديرها ابن عم جوانا، رالف كاريش. واضاف:

«ورثت البيت والأرض عن عم عازب. عائلة تريكارل مشهورة بحب ابنائها للترحال والمغامرة. وكان احدهم ضابطاً على السفينة التي اكتشفت الجزيرة قبل سنوات عدة. استقر هناك كمزارع وكان آخر احفاده عمي الذي ورثت عنه جميع ممتلكاته. انا... انا اعمل في الجزيرة وهذا هو احد الاسباب التي جعلتني امضي فيها معظم الوقت. ورالف مدير اعتمد على اخلاصه وحسن درايته، ولذلك فاني لا اقلق ابداً بالنسبة لسير العمل هناك».

تذكرت ما قالته لها جاي عن بولا كاريش والاشاعات المغرضة

التي تداولتها الألسن الخبيثة عن علاقتها المزعومة بجون. وكأنه شعر بما يدور في رأسها من افكار، فمضى الى القول:

«سوف تتعرفين على رالف وشقيقته بولا التي تعيش معه وتهتم بأموره. بيتهما جميل وكبير. ولأن بولا فنانة موهوبة، فقد حولته الى تحفة رائعة. سوف يعجبك رالف كثيراً».

لاحظت تينا من الجملة الأخيرة انه لا يتوقع قيام علاقة طيبة بين الفتاتين، وهذا امر معقول جداً! فاذا كانت بولا تريد جون لنفسها، لن تشعر بسعادة فائقة عندما تلتقي زوجته الجديدة! ثم سألها:

«كيف كنت تمضين وقت الصيف، يا تينا؟».

«كنا نعيش قرب البحر وكانت عمتي مود مقتنعة بأن لا ضرورة لذهابنا الى اي مكان اخر».

«يبدو انك حرمت من جميع انواع اللهو والتسلية، ويبدو ان الوقت قد حان لتصحيح الأوضاع من كافة النواحي. فهناك يمكنك ان تمارسي انواعاً عدة من الرياضة كالسباحة وكرة المضرب وغيرهما. كما اني سأعلمك ركوب الخيل وقيادة السيارات. لدينا سرعة قصوى محددة بخمسين كيلو متراً في الساعة، وذلك حرصاً على السلامة العامة وافساح المجال امام الناس للتمتع بالمناظر الخلابة الساحرة».

«هل هذا احد الاسباب التي تجعلك تفضل السكن في الجزيرة؟».

«بكل تأكيد».

ثم ابتسم وسألها فجأة:

«الا تضعين احمر الشفاه؟».

نظرت اليه بخجل وتردد وسألته بدورها:

«وهل تريدني ان اضع احمر شفاه؟».

بدت عليه مسحة من الدهشة وقال لها:

«يجب ان تفعلي ما يسرك ويريحك في مثل هذه الأمور. ام انك تظنين انني طاغية متغطرس؟».

«طبعاً لا! ولكنك قد تكون احد اولئك الرجال الذين لا يحبون مستحضرات التجميل».

واظهرت هذه الملاحظة مدى ضعف معرفتها به وبما يحبه، اذ قال لها:

«يمكنني ان اقبل بها ان كانت بكميات قليلة. واعتقد انها ليست ضرورية ابداً للشابات بمثل سنك».

«اوه، كم اتمنى ان اكون اكبر سناً!».

«تخلي عن القلق وخذي الأمور كما تأتي».

واسند رأسه الى الوراء بعد ان اشعل سيكارة وراح ينفث دخانها بهدوء وراحة. انه يحذر قلبها بطريقة غير مباشرة، وهو على حق. يجب عليها ان تأخذ الأمور على طبيعتها وتتخلى عن طيش الشباب واندفاعه اللذين يطالبان بكل شيء في وقت واحد. . . وبخاصة الحب! نظرت الى ساعتها فلاحظت انه لا يزال امامها ثلاث ساعات قبل الوصول الى جامايكا. اغمضت عينيها وراحت تفكر بالجزيرة وليزا و. . . وغلبها النعاس، فنامت.

ايقظها جون وابلغها بأنهما على وشك الوصول وبأن زورقه السريع سينقلهما من جامايكا الى سانت مونيك. ارتجفت يداها فتولى هو شد حزامي الأمان. هبطت الطائرة وطلبت احدى المضيفات من المسافرين البقاء في مقاعدهم بعض الوقت لحين حصول موظفي الشركة على موافقة دوائر الصحة بانزالهم. وامضى جون وتينا ساعة كاملة بعد نزولهما من الطائرة بين عشرات الركاب والموظفين والمسؤولين في قاعة الوصول، حتى انتهيا من معاملاتهما واستلام حقائبهما. اومأ جون الى اثنين من الحمالين اللذين نقلا حقائبهما الى احدى سيارات الاجرة. انطلقت السيارة بهما الى مرفأ العاصمة حيث كان احد ابناء الجزر الاصليين بانتظارهما قرب الزورق.

«هذه زوجتي يا جو».

ابتسم الرجل العملاق بود وخجل ورفع قبعته محيياً:

«اني سعيد بمعرفتك يا سيدتي. آمل في ان تمضي اجمل الأوقات واحلاها».

ابتسمت له وهزت رأسها رداً على تحيته وكلامه المهذب المشجع، فيما سمعت جون يسأله:

«وليزا؟ كيف حالها؟».

«الآنسة الصغيرة بخير ايها السيد، وهي متشوقة جداً لرؤيتك. كانت تقفز وترقص وتغني طوال اليوم».

وانطلق الزورق بسرعة يشق سطح الماء ويترك وراءه خندقاً طويلاً ينعكس عليه ضوء القمر باشكال هندسية مختلفة ورائعة. وفيما كان الرجلان يتحدثان عن امور عدة، راحت تينا تتأمل البحر والقمر والنجوم. . وهي في طريقها الى . . . بيتها. قبل اقل من اسبوعين كانت لا تزال في تشورلي، تعد العدة للتوجه الى لندن بحثاً عن وظيفة في احد المكاتب. وكان ذلك اقصى ما ترجوه فتاة مثل تينا مانسون، الفتاة الخجولة التي تخلصت اخيراً من طغيان عمتها المعقدة والحاقدة. اما الآن. . . فهي على متن زورق سريع يشق طريقه في مياه الكاريبي وتحت سمائه الصافية المزروعة بالنجوم الساطعة. واكثر من ذلك، فهي متزوجة من رجل جذاب. . . مزعج احياناً. . . غريب يلاحقه شبح زوجة راحلة! هل تخلصت من علاقة مع عمة مسنة لا تعرف الحب لتدخل عالماً آخر قد يثبت انه اشد ايلاماً وتحطيماً لقلب المحب المخلص؟

كان الطاهي في سانت مونيك قد زود جو بكمية لا بأس بها من المأكولات وزجاجات العصير والقهوة. فالرحلة من جامايكا تستغرق بضع ساعات. شربت تينا القهوة الطازجة الشهية وهي تشعر بارتياح كبير. حبيبها يجلس قربها في ضوء القمر، وصوت المياه التي تضرب جانبي الزورق موسيقى حالمة تداعب اذنيها وقلبها. انه الآن لها. . . لها وحدها. ولكنه بعد قليل، سيصبح لها ولغيرها. . . لأشخاص قد يمتعضون لوجودها ويحاولون نبذها او على الأقل مضايقتها! ليزا،

مثلاً! فطوال السنوات الثماني الماضية كان والدها لها وحدها، وها هي الآن مضطرة للتخلي عن بعض ما تتصوره حقاً مكتسباً وأمراً طبيعياً لا جدال فيه... وهو ان حبه لها وحدها ويجب الا تشاركها فيه امرأة غريبة! وارتعش جسمها قليلاً وهي تراه يحدق في البعيد. هل يفكر بجوانا؟ هل يجب ان يكون الوضع دائماً على هذا النحو... قلبه وافكاره مع جوانا حتى عندما يضمها هي بين ذراعيه؟ وسمعته يتمتم:

«للبحر رائحة رائعة. هل تحبينها؟».

«جداً. هل جميع الليالي في المناطق الاستوائية تكون دائماً معتدلة ومنعشة؟».

«معظم اوقات السنة. الا ان هناك بعض العواصف القوية والأمطار الغزيرة، كما اننا نتوقع حدوث اعصار او اعصارين في منتصف فصل الصيف. اما على العموم، فسانت مونيك جنة صغيرة ستعجبك كثيراً. عرفت ذلك عندما التقيتك للمرة الأولى في تشورلي. هل تذكرين؟».

ابتسمت لنفسها... وهل ستنسى ذلك اللقاء الذي قلب حياتها رأساً على عقب؟

هزت رأسها وقالت له بنعومة:

«طبعاً اتذكر. فعندما اخبرتني عن سانت مونيك وقعت بحبها».

وكأن كلمة حب لفتت نظره واثارت اهتمامه، فقال لها بهدوء:

«سألتني الليلة الماضية ان كنت نادماً بأي شكل من الأشكال على زواجنا. فهل انت نادمة على ذلك؟».

وتردد قليلاً ثم اضاف:

واعني... انك شابة في مقتبل العمر وذات مشاعر عاطفية، ويمكنني ان اتفهم بسهولة انك كنت تفضلين علاقة حب وغرام قبل اقدامك على الزواج».

احنت رأسها خجلاً وقالت له مؤكدة:

«اني راضية تماماً عما حدث. انا اردت الزواج...».

«من الواضح ان ذلك يعود الى الوحدة، وهذه هي الصفة المشتركة التي تميز حياة كل منا. هل ستؤدي الى صفات اخرى اكبر واهم؟ ربما، ولكن ليس الآن. ارجو ان يتم ذلك في وقت لاحق، عندما نتعرف على بعضنا بشكل افضل. هل تعتقدين ان ذلك ممكن؟».

تمنت من كل قلبها ان يصبح ذلك حقيقة واقعة... وبأسرع وقت ممكن.

«الوضع الذي نمر فيه حالياً دقيق وحساس. ولذلك فمن الأفضل ان نعتبر نفسينا شخصين خاطبين تتطور العلاقة بينهما وتقوى بسرعة يجب الا تخيفك. كنت خائفة الليلة الماضية، اليس كذلك؟ عندما اقترحت عليك الذهاب الى الفراش نظرت الي كجندي صغير شجاع يعد نفسه لمغادرة موقعه الأمين الى الخطوط الأمامية... الى المصير المجهول! يا طفلتي الصغيرة، اعرف تماماً كيف كنت تشعرين!».

ارادت ان تصرخ بنفي صريح واضح... ان تقول له انها تحبه... تريده...! امسك كتفيها المرتعشتين واضاف قائلاً بلهجة الأمر:

«يكفينا ما بحثناه حتى الآن. لندع الأمور تأخذ وقتها ومجراها. وان لم تستقم الأمور بيننا، فثمة علاج للمشكلة».

اي علاج؟ الطلاق؟ تصحيح الخطأ الفادح بزواجه منها؟ وشعرت بالخوف... بالهلع! انه يعتقد انها تزوجته للسبب ذاته الذي حمله على الزواج منها، ولذلك فانها ستحرجه وتربكه اذا كشفت له عن حبها له. انه رجل ذو شهامة يتميز بالاستقامة والكرم وسوف يتأثر جداً اذا علم انه يؤلمها ويؤذيها لعدم قدرته على مبادلة حبها بحب مماثل. انه يظن الآن ان بامكانها اقامة علاقة عملية مبنية على الاحترام المتبادل والحاجة المشتركة... انه لن يعترف ابداً بأن مشاعر الحب ماتت في قلبه يوم مقتل جوانا! لم تكن بحاجة لأن

تسمعه يقول ذلك، فهي تقرأ تلك الكلمات على وجهه وفي نظراته الحائرة. . .

«اهلاً بك الى سانت مونيك، يا تينا. جو، اترك جميع الحقائب في الزورق حتى الصباح. اعطني فقط هذه الحقيبة الصغيرة، فزوجتي تحتاج اليها. شكراً! والآن، عد الى بيتك، والا فان توباز ستغضب مني».

ضحك جو ثم احنى رأسه وقال لهما قبل ان يسرع عائداً الى بيته:

«على الرحب والسعة، يا سيدتي. تصبحان على خير».

امسك جون بذراعها وسارا على الرمال الناعمة نحو درج نحت في الصخر يؤدي الى فسحة كبيرة. شدت اصابعه على ذراعها وسمعته يقول لها:

«اننا على وشك الوصول الى بيتنا ويمكنك خلال فترة قصيرة ان تنامي وترتاحي من عناء هذه الرحلة الطويلة».

وجهت اليه ابتسامة ناعسة وهي تشكر الظروف لأنهما يصلان في مثل هذا الوقت المتأخر كيلا تضطر للقاء ليزا والآخرين وهي مرهقة على هذا النحو. وما ان لاحظت انهما يقتربان من الباب الخلفي، حتى سمعته يضحك ويقول:

«انه فرار معاكس، اليس كذلك؟ فبدلاً من ان يهرب المحبان السعيدان من بيتهما ليلاً كي يتزوجا، ها نحن قد تزوجنا وأتينا الى بيتنا نتسلل ليلاً من الباب الخلفي. هذه نتيجة زواجك من نحات بوهيمي، يا تينا».

«اعتقد ان ذلك رومنطيقي للغاية، واكثر اثارة من وصول عادي وتقليدي في وضح النهار. . .».

«حيث يقف الخدم على جانبي المدخل الرئيسي لتحية الزوجين السعيدين؟».

هزت برأسها خجلاً فقال:

«يا للطفلة الصغيرة!».

وعلى الرغم من تلك الساعة المتأخرة وامل تينا في الا تلتقي احداً قبل الصباح، الا انها سرعان ما اكتشفت ان ثمة اشخاصاً مصممون على ملاقاتها. فبمجرد دخولهما، استقبلهما خادم حياهما بتهذيب واحترام وابلغهما معتذراً عن السيد رالف وشقيقته اللذين ينتظرانهما في قاعة الاستقبال للترحيب بهما.

«اوه، لا! اني آسف يا عزيزتي، ولكن يبدو ان هناك لجنة استقبال للترحيب بك. واخشى الا يكون بامكاني انقاذك من هذه الورطة الموقتة، وبخاصة ان رالف هو افضل اصدقائي واقربهم الي. وبالنسبة لبولا. . . فليس هناك داع لمعاداة اقرب جاراتك اليك. هيا، فهما لن يبقيا طويلاً بعد الترحيب بنا».

سار امامهما الخادم الكهل، الذي يشرف على معظم اعمال المنزل، وفتح الباب المؤدي الى قاعة الاستقبال الضخمة ثم تنحى جانباً. دخلت تينا القاعة بخطى متعثرة فيما كان جون يتبعها على بعد خطوتين بعد ان طلب من تاتيانا ان يذهب الى النوم. احمر وجهها بشدة عندما استقبلتها نظرات اهتمام من رجل هب واقفاً والبسمة تعلو وجهه. وفي مقعد مواجه كانت تجلس شابة شعرت تينا، حتى مع خبرتها القليلة والمتواضعة، انها لا تحتاج الى وجه جميل كي تجذب الرجال وتشدهم اليها. وقفت بولا ايضاً للترحيب بالزوجين القادمين، فبدت طويلة جداً. . . كعارضة ازياء. ولاحظت تينا ان نظرات بولا تعكس قدرة خارقة على تحطيم قلوب الرجال! انها ليست جميلة. . . ولكن انوثتها جذابة وساحرة. هل ستنجح في الاحتفاظ بجون امام هذه . . . هذه القطة الشرسة؟ هل ستتمكن من التصرف كسيدة هذا. . . هذا القصر؟ وخفت حدة التوتر قليلاً عندما تصافح الرجلان بحرارة وقال جون لرالف مشيراً الى زوجته:

«هذه هي تينا».

ثم التفت اليها قائلاً وهو يشير الى صديقه المفضل:

«تينا، اعرفك برالف الذي ستلتقين به كثيراً في المستقبل».

صافحها رالف بحرارة وقال بلهجة ودية صادقة:

«اني سعيد بمعرفتك يا تينا. اهلا بك».

ردت الابتسامة بالمثل ثم نظرت الى ابنة عم جوانا... تلك الممثلة القديرة التي اخفت من نبرتها اي دلالة على العداء او الازدراء عندما قالت لجون مازحة:

«ايها الوغد! عندما استلمنا برقيتك اعتقدنا الى حد ما انك تمزح».

وضع جون يده على كتف تينا قائلاً لبولا:

«ها هو الدليل القاطع الذي يثبت العكس».

ابتسم رالف وقال ضاحكاً:

«لماذا لم يكن لي حظك الطيب عندما اخذت اجازتي؟ جميع الفتيات اللواتي التقيت بهن كن مهتمات بالحفلات والسهرات ليس الا».

علقت شقيقته على تلك الملاحظة بالقول وقد علت ثغرها ابتسامة غريبة:

«العازب، يا شقيقي الغالي، اكثر خبرة ومهارة من الأرمل في الحفاظ على حريته وعزوبته».

لاحظت تينا بانزعاج ان بولا تحدق بجون معظم الوقت وهو يرد نظراتها بالمثل. وتساءلت بحزن وضيق بالغين عن تلك الدوافع المذهلة التي حملته على معاقبة بولا بزواجه من فتاة بسيطة مثلها! هل هدفه الانتقام من بولا، التي كانت مع جوانا على اليخت عندما وقعت وتوفيت؟

«اجلسي يا تينا!».

حاولت ان تستريح في ذلك المقعد الوثير وان تركز اهتمامها على تأمل تلك الغرفة الفسيحة واثاثها. ولكن السكون لم يخيم طويلاً، اذ سمعت رالف يقول لها ولجون بصدق واخلاص واضحين:

«اتمنى لكما ايها العزيزان حياة طويلة ملؤها السعادة والهناء».

واضافت شقيقته بصوت هادىء:

«اني آمل ان تكونا سعيدين!».

نظرت تينا الى جون ولاحظت انه سمع مثلها جملة بولا وكيفية تشديدها على الكلمة الثانية. لماذا استخدمت تلك الكلمة بالذات؟ هل لديها اي شعور بانهما لن يكونا سعيدين في حياتهما؟

وسمعتها تسأل جون بخبث:

«اتصور انك زرت ديفون، اليس كذلك؟».

«لا، لم اصل الى الريف الغربي».

«تصورت ذلك لأن تينا تتحدث بلهجة ابناء الريف. اعتقدت انها ربما...».

«تينا من سكان سوسكس».

«انها احدى اجمل مناطق البلاد. هل كنت تعيشين قرب البحر يا تينا؟».

قبل ان تتمكن تينا من الاجابة سمعت بولا تقول بدلال مصطنع:

«كما في تلك الأغنية المشهورة... بنت الشاطىء!».

تجاهلت تينا هذه الملاحظة ونظرت الى رالف بشيء من الاعجاب، قائلة لنفسها انها لو كانت شقيقته لكانا افضل بكثير منه وبولا. اذ انه يبدو انساناً طيباً ومخلصاً لا يعرف المراوغة والخبث اللذين يبدو ان اخته تتميز بهما. ابتسمت له واجابت بهدوء:

«نعم، كنت اعيش قرب البحر».

«عظيم. يجب ان نتفق من الآن على موعد للسباحة».

ضحكت بولا وقالت لجون:

«انتبه لهما يا جون! يبدو ان هذين الشخصين يعملان منذ الآن على تشكيل ناد للاعجاب المتبادل!».

رد عليها جون بهدوء وشيء من الجدية:

«اعتقد ان بامكاني الوثوق برالف».

ثم التفت فجأة الى الوراء عندما احس بباب القاعة يفتح بقوة

وتدخل منه فتاة صغيرة تفرك عينيها.

«ليزا!».

وهب واقفاً وهو يفتح ذراعيه بمحبة وحنان لاستقبال ابنته الحبيبة التي اندفعت نحوه بقوة ولهفة. احتضنها بحرارة ورفعها ثم بدأ يلف ويدور بها، فيما كانت هي تطوق عنقه وتقبله قائلة:

«ابي! ابي، حبيبي!».

قبلها مرات عديدة وقال لها:

«اشتقت اليك كثيراً يا طفلتي الحبيبة!».

ثم ابتسم واضاف مازحاً:

«من المفروض ان تكوني نائمة منذ ساعات، ايتها الساحرة الصغيرة!».

ردت عليه ودموع الفرح تنساب على خديها:

«لم اتمكن من النوم... كنت متلهفة جداً لرؤيتك! اوه، ابي، اني سعيدة جداً بعودتك الى البيت!».

«وانا ايضاً يا حياتي... كنت متشوقاً جداً للعودة اليك، ولكن حدثت تطورات عدة اخرتني بعض الوقت. ماذا كان رأيك بانبائي؟».

تمتمت ببضع كلمات، تنظر جون الى تينا التي وقفت لاستقبال الفتاة الصغيرة. كانت تأمل في لقاء ليزا بحضور جون فقط. لم يزعجها وجود رالف... ولكن بولا كانت تنظر بفضول وترقب وكأنها تأمل في ان يكون رد فعل ليزا عدائياً. احست تينا بالحيرة والدهشة، وبدت كالطفلة الصغيرة التي انزلها والدها الى الأرض وهو يقول لزوجته باسماً:

«هذه هي طفلتي الحبيبة يا تينا».

شعرت تينا برغبة جامحة لوضع ذراعيها حول الرجل والفتاة وتقديم كل المحبة والحنان التي تقدر على منحها. وشاهدت جون يضغط على كتف ابنته ويقول لها مشجعاً:

«هيا، اذهبي وسلمي على تينا».

اقتربت الفتاة منها بخطى مترددة بعض الشيء ثم مدت يدها وقالت:

«كيف حالك يا آنسة... اعني... يا تينا؟».

ابتسمت تينا وسألت الفتاة الصغيرة بصوت هادىء وناعم:

«هل تسمحين لي بتقبيلك يا ليزا؟».

ابتسمت ليزا وادارت لها خدها بحياء فقبلتها تينا بحنان. عادت الفتاة الصغيرة الى والدها الذي حملها مرة ثانية وطلب منها ان تتمنى ليلة سعيدة للجميع ثم اخذها الى غرفتها. وتذكرت تينا بأسى ان هذا ما حدث معها بالضبط في الليلة السابقة. ابتسم لها رالف وقال مشجعاً:

«يبدو انك ستقيمين علاقة طيبة مع الصغيرة. انها فتاة طيبة للغاية، وهي تشبه والدها اكثر من...».

وتوقف عن اتمام جملته وظهر الخجل واضحاً على وجهه. ولكن اخته قالت له:

«انه ما كنت تود قوله يا رالف... ان ليزا لم ترث الكثير عن جوانا. فهي لم تأخذ جمال امها او تلك النزعة القوية لتوجيه حبها كله الى ناحية واحدة».

نظر رالف الى شقيقته بشيء من الضيق والقلق وقال:

«ليزا طبيعية اكثر. على اي حال، يجب ان نذهب الى البيت بمجرد عودة جون. يكفيها معاناة وارهاقاً هذا اليوم، ويجب الا نؤخرهما طويلاً».

نظرت بولا الى تينا وسألتها بهدوء:

«اتصور انه لم تسنح لكما فرصة طويلة لتمضية شهر العسل، اليس كذلك؟ بالمناسبة، منذ متى تعرفين جون؟».

«منذ فترة كافية».

قالتها بثقة اكبر بعد ان التقت ليزا وحققت معها بعض النجاح.

وشكرت تينا الظروف لأن الفتاة الصغيرة لن تكون مشكلة اضافية بالنسبة لها، كما ان من الواضح ان رالف كاريش يؤيدها ويساندها. انه مخلص لجون، ومن المؤكد انه سيكون صديقاً اميناً لها ايضاً. وكأنه علم ان اسمه يرد في تفكيرها، اذ قال لها فجأة:

«اننا نعيش على بعد خمسة كيلومترات يا تينا وسوف نتطلع مقدماً لزيارتك لنا. سوف اريك حقول الحمضيات، التي اشعر بالتأكيد انك ستفرحين بمشاهدة اشجارها ومعمل العصير فيها».

ظهر الاهتمام الحقيقي على وجهها وقالت له مبتسمة:

«هذا موعد بيننا».

«وانها احدى اكثر الحقول انتاجاً في الجزيرة و. . . .».

وتدخلت بولا قائلة:

«وجون يجني منها مبلغاً لا بأس به على الاطلاق».

كان واضحا من الطريقة التي تأملتها بها، من رأسها حتى اخمص قدميها، انها تغار من هذه الفتاة القادمة من الريف. . . او انها تعتقد على الأقل ان تينا تزوجت جون بسبب ماله. وشعرت تينا بموجة عداء تجاه هذه الانسانة المذهلة، وقالت لنفسها ان من المستحيل اقامة صداقة حقيقية معها. وبدا لها انها ستكونان عدوتين، وانها قد لا تتمكن طويلاً من مواجهة هذا الخصم الخبيث والمحنك. واحست بشيء من الارتياح عندما شاهدت جون يعود مبتسماً ثم يقول:

«واخيراً. . . نامت القردة الصغيرة».

واضاف موجهاً كلامه هذه المرة الى تينا بالذات:

«يبدو ان اجتماعك بليزا تم بشكل طيب، اليس كذلك؟ يظهر ان الحظ كان مساعداً الى حد ما».

علقت بولا على ذلك بالقول:

«ربما ساعد على ذلك صغر سن تينا الواضح».

ثم اضافت مبتسمة:

«اثناء غيابك يا جون، انضم الى مجتمع جزيرتنا الصغير رجل

فرنسي عازب. هل من الممكن ان ادعوه مرة الى احدى السهرات هنا؟».

«بكل سرور. ماذا يفعل هذا الرجل في سانت مونيك؟ هل يمضي عطلته؟».

«انه رجل غني يا عزيزي، يفعل ما يسره ويذهب الى حيث يمكن ان يقضي وقتاً طيباً: انه شخصية مثيرة، اليس كذلك يا رالف؟».

ضحك شقيقها واجابها قائلاً:

«اتصور ان هذا ما تصفه به معظم النساء، اللواتي يقعن عادة بشراك صيادي القلوب».

«حقاً؟».

قالتها بولا وهي تتعمد النظر الى جون. ثم وقفت وهي تضيف قائلة:

«الى اللقاء يا جوني. . . ويا تينا».

وفيما كان رالف يتمنى لتينا ليلة سعيدة، احست بأنها تعرف ما يدور بخلده. انه متضايق جداً من مشاعر اخته تجاه جون، وبخاصة بعد زواجه. ابتسمت له تينا بثبات وتفهم، فارتاحت اعصابه قليلاً وقال لها مودعاً:

«اسعدني جداً التعرف اليك يا تينا».

ثم صافح صديقه ورب عمله وغادر وشقيقته بيت تريكارل يرافقهما ناثانيال حتى الباب الخارجي. وبعد لحظات سمعا صوت محرك قوي وانطلاق سريع. ابتسم جون وقال:

«بولا هي التي تقود السيارة الآن».

ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها مضيفاً:

«يبدو ان رالف اعجب بك كثيراً. انه شاب طيب وظريف، اليس كذلك؟ انكما تشبهان بعضكما كثيراً».

«لماذا، هل انا طيبة وظريفة؟».

وجهت اليه هذا السؤال وقد علت ثغرها ابتسامة خجل وحياء.

فهي تعرف الآن، بعد ان التقت بولا، ان عليها خوض معارك ضارية ومتواصلة للاحتفاظ بزوجها. اذ ربما توجد لديه رغبة دفينة تجاه هذه المخلوقة الجذابة... التي وقفت تتفرج على ابنة عمها وهي تغرق... والتي كانت تريده وتشتهيه آنذاك، ولم تتوقف ابداً عن تلك الرغبة منذ ذلك الحين! ابعد جون خصلة من شعرها الى ما وراء اذنها وسألها:

«هل تحاولين اغرائي؟».

وراقبها بمرح لأنه كان يعرف مسبقاً ان وجنتيها ستحمران خجلاً وحياء و... اللعنة! احمر وجهها على الرغم من محاولاتها الجاهدة لمنع ذلك! ضمها الى صدره وهمس باسمها مرتين فيما كان يداعب شعرها. ثم قال لها بهدوء وحنان:

«انك ستنامين وانت واقفة، يا صغيرتي. هيا بنا الى الفراش!».

صعدا السلم الخشبي العريض نحو غرف النوم، فاحست في تلك اللحظة بانها حقاً في بيتها. قد تكون هناك بعض المشاكل، وقد تواجه بعض المصاعب قبل ان يتحقق الاستقرار الفعلي المنشود... ولكنها فتاة جريئة، ومفعمة بالأمل.

كانت تفصل بين غرفتيهما قاعة صغيرة... وكانت غرفتها معدة وجاهزة. كل شيء في مكانه... كل شيء جديد، وكأن جون ابرق بتعليمات محددة لاعداد غرفة نوم عروسه على هذا النحو الجميل والجذاب! هل كانت هذه غرفة جوانا؟ اعدت تينا نفسها للنوم. كانت متعبة ومرهقة، ولكن توتر اعصابها دفعها الى الذهاب الى الشرفة حيث وقفت تتمتع بالنسيم العليل ورائحة الياسمين الزكية. وفجأة شاهدت جون يخرج الى شرفة القاعة الصغيرة ويقول لها بدماثة واضحة:

«هل تشعرين بشوق الى الوطن؟».

«لا، ابداً. كنت اتمتع بنسيم الليل قبل النوم. الطقس جميل ودافئ».

ابتسم وسألها بهدوء:

«كيف وجدت ليزا؟».

«انها مثلك يا جون».

وكادت نظراتها تفضح مشاعرها واحاسيسها، فتطلعت نحو الحديقة الغنّاء وسألته بتردد:

«هل قالت لك شيئاً عني؟».

اجابها بصوت غلب عليه حبه لابنته:

«قالت انك صغيرة، وانك تبدين انسانة طيبة وحساسة. الم اقل لك انك لن تجدي صعوبة تذكر في اكتساب ودها ومحبتها؟».

ردت عليه بصوت ضاحك ومرتجف:

«انه لخبر يفرح النفس ويريحها الى درجة كبيرة. تصور التعقيدات الاضافية فيما لو قررت ليزا انني لا اعجبها ابداً!».

«ماذا تقصدين بالتعقيدات الاضافية، يا تينا؟».

كانت نبرته حادة، وعندما نظرت اليه وجدته عابساً مقطب الحاجبين. خافت واحست بانفعال مزعج. لماذا تفوهت بمثل هذه الكلمات المؤذية في الوقت الذي بدأ فيه جون بالتقرب اليها؟ ترددت قليلاً ثم قالت له:

«لم اعن اي شيء محدد يا جون. فالاحاديث احياناً تتضمن كلمات تافهة لا قيمة لها».

«لا، لم تكن كلمات لا معنى لها».

ثم اقترب منها واضاف قائلاً:

«اذا كانت كل امرأة جميلة ومثيرة تلتقينها هنا ستصبح سبباً للشكوك ومثاراً للشبهات، فاننا سنمر في اوقات عصيبة. اسمعي يا تينا! اريد ان تكون واضحين منذ البداية... انا ابغي السلام والطمأنينة وراحة البال من زواجي الثاني، لا الغيرة والحسد والمشاكل. ادرسي الموضوع جيداً! تصبحين على خير».

هزت برأسها وقد عم افكارها ذهول وضجت برأسها تساؤلات

وتخبطت بقلبها مشاعر متناقضة ومتضاربة. ليس كافياً ان يحب الانسان شخصاً اخر... بل يجب ان يثق به. ولكن... كيف يمكنها ان تثق به وهي ترى ما تراه من احتمال قيام علاقة بين زوجها وتلك... القطة الشرسة، بولا كاريش!

٥- سيدة القصر

استيقظت تينا بعد ان انتبهت الى ان باب غرفتها يقرع بهدوء.

«نعم!».

دخلت امرأة سمراء نحيفة ترتدي زياً انيقاً وتحمل طبقاً عليه ابريق من الشاي وفنجان وكمية من السكر. ابتسمت كاشفة عن اسنانها البيضاء اللامعة وقالت:

«اسعدت صباحاً يا سيدتي. انا توباز، وقد طلب مني السيد جون ان احضر لك الشاي الى الغرفة على ان تتفضلي بالانضمام اليه لتناول الفطور معاً. انه يسبح الآن».

جلست تينا في سريرها وسألت توباز التي تضع الطبق امامها:

«انت زوجة جو، اليس كذلك؟».

ردت توباز الابتسامة بالمثل وقالت بمرح يغلب عليه الحياء:

«نعم يا سيدتي. انه يتصرف احياناً كطفل كبير ولكنه ما عدا ذلك انسان لا بأس به. . . حسبما اعتقد».

ضحكت تينا وشربت جرعة من الشاي ثم قالت:

«باعتقادي انه شخص طيب وقادر للغاية. هل تعملان هنا منذ زمن طويل؟».

وضعت توباز يديها باعتزاز على زيها الابيض والأزرق، الذي يدل على انها الخادمة الخاصة بسيدة البيت، وقالت:

«حصلت على هذه الوظيفة الجديدة قبل يوم فقط من وصولك يا سيدتي. اني اعمل كخادمة هنا منذ فترة طويلة، وجو يقوم بمعظم الاعمال منذ تولي السيد جون الأمور هنا. وهو متعلق جداً بهذا المكان وبمالكيه. . .».

وتوقفت توباز عن متابعة حديثها وكأنها انتبهت فجأة الى انه يجب عليها، كخادمة خاصة بربة البيت، ان تكون اكثر جدية واقل ثرثرة. وتأملتها تينا بسرور وهي تقوم بعملها باهتمام واخلاص. انها فعلاً احدى خصال جون ان يفكر بكل شيء! اختار امرأة طيبة ومخلصة وغير محنكة كي تكون خادمتها الخاصة لأن اي خادمة متمرسة قد تشكل ازعاجاً واحراجاً لها. فهي غير معتادة على العيش في بيت كبير كهذا يعج بالخدم والعمال، وعلى التصرف كسيدات القصور من حيث ادارة شؤون البيت واعطاء الاوامر والتعليمات التقليدية. الا ان تعيين خادمة خاصة بها اخجلها واربكها بعض الشيء، على الرغم من ارتياحها البالغ وسرورها الفائق بهذا التطور الجديد.

«لا تزال معظم حاجياتي موجودة في الزورق منذ ليلة امس، وعليه فاني مضطرة لارتداء ثياب السفر مرة اخرى».

وضعت توباز الثياب على سرير تينا ثم جهزت لها الحمام وغادرت الغرفة بعد ان شكرتها تينا وقالت لها ان بامكانها الذهاب. دخلت تينا

الحمّام الجميل الذي ستتشاطره وجون. وفيما كانت تقف تحت الماء المنهمر بقوة، راحت تردد بصعوبة ما سمعته من توباز. انها فتاة عاشقة، وهذا يكفيها في الوقت الحاضر! انها تينا تريكارل، وكل ما تراه وتسمعه حقيقة واقعة وليس حلماً! وما ان خرجت من الحوض حتى سمعت طرقة خفيفة على باب الحمام وصوت جون الذي يوحي بالنشاط والحيوية:

«مرحباً ايتها العزيزة! احضرنا لك حقائبك من الزورق».

«اوه، عظيم!».

نظرت تينا الى المرآة الكبيرة الموجودة فوق الطاولة فشاهدت جسدها العاري المبتل. احمرت وجنتاها حياء. . . كيف ستتصرف وكيف سيكون رد فعله هو فيما لو دخل الحمام من الجهة الأخرى وفي هذه اللحظة بالذات. . . وهو حق مكتسب له! سارعت الى القول:

«ابدأ بتناول فطورك يا جون، ان كنت جائعاً. سأجفف نفسي وانضم اليك خلال لحظات».

ضحك وقال لها:

«كلمة لحظات بالنسبة للسيدات تعني نصف ساعة على الأقل. فطورنا موجود على شرفة القاعة الصغيرة، وسوف انتظرك. هل تمت جيداً؟».

اعجبها انه مرح وذو مزاج طيب غير معكّر، فاجابته بارتياح:

«الى درجة كبيرة، شكراً».

«سأرى ان كانت الصبية الصغيرة مستيقظة، فلربما اسعدها تناول الفطور معنا. فما رأيك؟».

«طبعاً، طبعاً. كنت على وشك اقتراح ذلك بنفسي».

تساءل ضاحكاً وبشيء من التهكم:

«حقاً؟».

ثم خيّم صمت ثقيل وعرفت تينا بانه غادر غرفتها وتوجه الى شرفة القاعة. ارتدت ثيابها ودخلت الغرفة حيث كانت توباز تفرغ

الحقائب وتضع كل شيء في المكان المخصص له. ساعدتها توباز على تسريح شعرها الأشقر الذهبي بعد ان كانت تينا قد استبدلت ثياب السفر بفستان ازرق جميل.

«هل لديك اطفال يا توباز؟».

«اثنان يا سيدتي، وهما في المدرسة».

ثم ابتسمت واضافت:

«انك لا تبدين اكبر منهما كثيراً يا سيدة تريكارل. امضينا كلنا الايام القليلة الماضية نحاول التكهن بما سيكون عليه سنك ومظهرك! انتظري حتى اخبر اسباسيا!».

«من هي اسباسيا؟».

«انها صديقة لي تقيم في القرية. عملت هنا عندما كانت السيدة جوانا حية ترزق. كانت خادمتها الخاصة».

تسمّرت تينا في مكانها ثم تنهدت قليلاً وسألت خادمتها بهدوء:

«هل كانت هذه الغرفة تختلف كثيراً عما هي عليه الآن عندما كانت السيدة تريكارل الاولى تقيم فيها؟».

وجّهت اليها توباز نظرة دهشة واستغراب قائلة:

«هذه الغرفة، يا سيدتي؟ انها لم تكن ابداً غرفة السيدة جوانا. السيدة الراحلة كانت تقيم في الجانب الآخر للبيت كي تكون قريبة من الشاطىء وتسمع صوت أمواجه. كانت تحب البحر... وربما اكثر مما يجب!».

ارتعش جسم تينا لدى سماعها تلك الكلمات، وخاصة بسبب ذلك الايحاء المبطن بوجود علاقة بين حب جوانا للبحر وحادث غرقها. وانطلق من فمها سؤال لم تكن ترغب في توجيهه:

«هل يمكنك وصفها لي؟ اعني... هل كانت وديعة وطيبة؟».

«اتصور ان العمل معها لم يكن صعباً. كان لها شعر حريري احمر».

وهزت رأسها اسفاً وتأثراً ثم اضافت:

«اذكر تماماً كيف كانت الطواويس تبكي في تلك الليلة التي سبقت مقتلها. اني اقول دائماً لجو ان بكاء الطواويس ينذر بالشر، ولذلك كان يرافق السيد جون ذلك اليوم كظله... وهو الذي قتل سمكة القرش التي هاجمت السيد جون. اوه. كنا خائفين جداً على السيد، اذ كاد جرحه وصدمته يقضيان عليه...».

واختنقت الكلمات في حلق توباز فيما كانت تينا تتصور المنظر المفجع بحذافيره وكأنه يجري امامها. تصورته يكافح لانقاذ جوانا ومن ثم يحاول التخلص من تلك السمكة الشرسة القاتلة! ماذا كان يشعر آنذاك وهو ينادي جوانا بحرقة وألم؟ هل كان يشعر بالحب واليأس... ام بعقدة الذنب؟ ووجدت نفسها تخرج من الغرفة وتتوجه الى شرفة القاعة، حيث كان جون وابنته انتهيا من تناول فطورهما وكان يخبرها عن رحلته وانطباعاته اثناء وجوده في الخارج. وقفت صامتة تتأملها باعجاب. كانت ليزا تنظر الى والدها بمحبة واعتزاز وكان جون يحدثها كمن يحدث صبية كبيرة لا طفلة في الثامنة من عمرها. وفجأة رفع جون رأسه وشاهد تينا وفستانها الصيفي الجميل. وقف محيياً وامسك بكرسي كي يساعدها على الجلوس، ثم قال لها باسماً:

«انك تبدين رائعة. اليس كذلك، يا ليزا؟».

احست بأنه وجّه هذه الملاحظة اللطيفة لأنه انسان مهذب وليس لأنه حقاً يعتبرها امرأة رائعة. شابَ سرورها شيء من توتر الاعصاب، فأزاحت وجهها عنه وحولت نظراتها الى الطفلة قائلة ببشاشة:

«صباح الخير، يا ليزا!».

«صباح الخير يا... تينا».

واحمر ذلك الوجه الصغير الجميل قبل ان تضيف قائلة:

«هل من الخطأ ان ادعوك هكذا... باسمك فقط؟ لدي صديقة في المدرسة تزوج والدها مرة ثانية في الآونة الاخيرة، وهي مضطرة

لمناداة زوجة ابيها. . . يا خالتي!».

جلست تينا وهي تتمتم بكلمات شكر لجون، ثم ابتسمت وقالت للفتاة الصغيرة:

«اني لا اشعر ابداً كأني خالتك يا ليزا. ربما كشقيقة كبرى. . . فما رأيك؟ اعتقد انني سآكل قطعة من هذا اللحم المجفف وما تبقى من الأناناس».

ابتسمت ليزا وبدا الارتياح بوضوح على وجهها الناعم، ثم وضعت ذراعها بمحاذاة ذراع تينا وقالت مداعبة:

«كم تبدين بيضاء بالنسبة لي ولأبي!».

ضحكت تينا وقالت لها:

«اني انوي ان اصبح برونزية اللون مثلكما تماماً خلال اسبوع واحد باذن الله».

ثم اضافت:

«انه لسوار جميل حقاً يا ليزا. هل شاهدت جميع هداياك؟».

«ألقيت خلسة نظرة سريعة الى السرج. انه رائع الجمال، ومهري سوريل سوف يعتز به كثيراً عندما اضعه على ظهره».

ثم ابتسمت وقالت لوالدها:

«يبدو انك احضرت هدايا جميلة ومتنوعة يا ابي. ولا ارى بدّاً من القول اني معجبة بالهدية التي احضرتها لنفسك».

«آه منكم يا صغار هذا العصر!».

قالها ضاحكاً ثم التفت نحو تينا واضاف:

«هاك يا عزيزتي، لقد حصلت الآن على الموافقة التي كانت تقلقك كثيراً».

وحوّل نظره الى عيني ابنته الحائرتين وقال لها:

«نعم، يا ليزا، كانت تينا بالطبع قلقة من انها لن تنال اعجابك».

وضعت ليزا احد اصابعها على خاتم تينا وقالت بارتياح ظاهر:

«غريب! كنت اظن انها قد تكون متكبرة ولا تأبه لطفلة امرأة

اخرى. انه لأمر يدعو الى ارتياح كبير، يا تينا، انك رائعة الى هذه الدرجة».

ابتسمت تينا بمحبة وحنان يشوبها بعض الاستغراب وسألتها:

«هل تعتبرينني حقاً رائعة؟».

ردت عليها ليزا بلهفة واخلاص قائلة:

«بالتأكيد! فانت لست مراوغة او مدعية بل صادقة وطيبة. كان سيقضي علي لو ان ابي تزوج امرأة لديها مثل تلك الصفات السيئة!».

كانت لهجة الفتاة حادة وتحمل الكثير من المعاني. ونظرت تينا الى جون لتتعرف ما اذا كان ادرك الهدف من وراء تلك الجملة الصريحة والعنيفة. كان جون يحدق بابنته ويوجه اليها نظرات قوية وجادة افزعت تينا وادخلت الهلع في قلبها. نعم، انه يعرف ان ليزا لا تحب بولا كاريش. وربما كان هذا احد الاسباب التي حملته على مقاومة رغبات تشده الى تلك الناحية. . . وعلى منح ابنته أمّاً ثانية تكون صغيرة السن وغير معقدة! اخرج غليونه وسأل زوجته بهدوء وكأنه يحاول تغيير الموضوع:

«هل تسمحين بان اشعل غليوني فيما انت تأكلين؟».

هزت تينا رأسها موافقة ثم نظرت الى ليزا وسألتها عن فترة عطلتها المدرسية. ردت الفتاة بوجه مشرق:

«اسبوعان كاملان، ما اروع هذه المناسبة! سنمضي ثلاثتنا اوقاتاً سعيدة مليئة بالبهجة والمرح والسرور».

التفت جون نحو تينا وسألها:

«ماذا تفضلين ان تفعلي هذا الصباح؟».

«اود التعرف على البيت وجواره».

«فكرة طيبة. يمكن لليزا ان تكون دليلك في الجولة المقترحة. لدي بعض الأعمال التي يجب الانتهاء منها، ولكننا سنقوم بجولة حول الجزيرة في فترة ما بعد الظهر و. . .».

قاطعته ليزا بتهذيب، ولكن بحماسة ظاهرة:

«تينا وانا سنذهب للسباحة».

«تأكدا من البقاء قريباً من الشاطىء. ابلغني جو هذا الصباح انه شاهد في الآونة الاخيرة عدداً من أسماك القرش خارج السلسلة الصخرية. كذلك فان تينا ستكون بحاجة للزيوت التي تحمي الجلد من اشعة الشمس الحارقة. ضعي الزيت يا تينا بكمية كبيرة تحت عينيك وعلى انفك بشكل خاص».

احسست تينا بانفعال شديد وبخاصة عندما وضع اصبعه على انفها الصغير وشاهدت تلك النظرات الساخرة في عينيه. استجمعت قواها وقالت له محتجة:

«لا تعاملني كطفلة، يا جون!».

«اني اخشى على جلدك الناعم والرقيق يا عزيزتي. وداعاً ايتها الطفلتان الحبيبتان!».

وغادر الشرفة على عجل فيما كانت تينا تحاول ضبط اعصابها وغضبها، وليزا تقول ضاحكة:

«أليس ابي مضحكاً؟».

«الى درجة مذهلة!».

عادت الجدية فجأة الى وجه ليزا وسألت تينا:

«هل تعرفين ما هي الحرباء؟».

ابتسمت تينا واجابتها دون ان تدري السبب الحقيقي للسؤال:

«انها احدى الزواحف التي تغير لونها تمويهاً. هل تدرسون عنها في صفكم؟».

«لا، ولكني قرأت عنها في احد الكتب. بولا مثلها، أليس كذلك؟».

دهشت تينا لهذا التشبيه وخشيت من ان تكون بولا قالت شيئاً للطفلة عن والدها. وسألتها بسرعة:

«لماذا تقولين ذلك يا ليزا؟».

هزت الفتاة كتفيها وقالت ببراءة الطفولة:

«انها لا تحب ان ترى الناس سعداء او مسرورين... انها تعمل دائماً على الحاق الاذى بهم. هكذا تفعل مع الخال رالف، لأنه انسان طيب للغاية. اني اتمنى من كل قلبي ان يتزوج، اذ انها ستضطر لمغادرة بيته».

ثم امسكت بذراع تينا ووضعت خدها عليه ثم قالت بمحبة صادقة:

«اوه، تينا! كم كنت خائفة ان يتزوجها ابي!».

وضحكت بتشفٍ وقد علت وجهها ابتسامة المنتصر واضافت:

«اني متأكدة من انها تتحرق غضباً وغيظاً... وحسداً، لأنه لم يفعل ذلك».

تناول الثلاثة طعام الغداء واحضر جون السيارة الكبيرة المريحة ليقوموا بجولتهم المرتقبة حول الجزيرة. نظرت اليه ليزا التي كانت وتينا تجلسان قربه في المقعد الأمامي، وسألته بسرور:

«هل نبدو جميلتين يا ابي؟».

«كوردتين رائعتين! انني رجل محظوظ!».

وانطلقت السيارة نحو الحقول الخصبة حيث قصب السكر والموز والذرة. وشاهدوا احد الشبان المحليين يتقي حرارة الشمس الحارقة في ظل احدى الاشجار الاستوائية الضخمة. ابتسم جون وقال لتينا:

«هل لاحظت كيف نظر هذا الشاب الينا؟ انه لا يفهم كيف انني لم استسلم للعادة المتبعة في هذه الجزيرة والتي تقضي بالاستراحة اثناء الظهر. هل تشعرين بالحر يا تينا؟».

«اني احبه! كنت دائماً متعطشة للشمس ودفئها».

ولما وصلوا الى منطقة قريبة من الشاطىء، اوقف جون السيارة وقال لتينا:

«يذكرني هذا الشاطىء بكورنوول. حتى تاريخها الحافل بقصص

القراصنة وتحطّم السفن متشابه الى درجة كبيرة».
نزلت ليزا من السيارة لتجمع باقة من الازهار البرية فيما جلس جون وتينا على حافة الطريق يتأملان الطبيعة الخلابة والشاطىء الساحر. ثم وضع جون يده فجأة على ذراع زوجته وقال لها بنعومة:
«انظري الى ليزا».
تطلعت تينا نحو الفتاة الصغيرة التي كانت تقفز بفرح وسرور وتداعب خديها بباقة الزهر الجميلة.
وغمغم جون قائلاً:
«كم اتمنى ان انحت تمثالاً لها وهي على هذا النحو ولكنه مشهد يتغير ويتبدل بسرعة فائقة. انظري، انها تنتقل الآن الى اكتشافات اخرى».
سألته تينا بوداعة وهدوء:
«أليس بامكانك ان تعتمد على الذاكرة؟».
هز كتفيه وضم ركبتيه بذراعيه وقال:
«الذاكرة معرّضة... لاخطاء كبيرة! تحفظين شيئاً وتغيب عنك اشياء بسبب الغموض المحتم، وتأتي القطعة الفنية ناقصة ومبتورة بدل ان تكون كاملة. كي ينجح الفن حقيقة، يجب اولاً ان يرضي القلب والعقل والروح. انه نوع من الحب، والفنان المبدع... كالعاشق الولهان... يجب الاّ تساوره الشكوك... والا فلن يكون ثمة اشباع او ارتياح حقيقي لدى الفنان او الحبيب!».
احست تينا بان قلبها يكاد يقفز من مكانه عندما تبين لها المعنى المقصود في كلامه. وتأكدت بانه يقول لها ضمناً بان علاقتهما لا يمكن ان تصبح وثيقة اذا بقيت الشكوك قائمة بينهما! هذا هو قراره النهائي، على ما يبدو، وهي مضطرة للقبول به بسبب حيائها وألمها وضعف خبرتها. الا ان لديها عزة نفسها وكبرياءها... وقررت ان تحاول التصرف كزوجة فلعلّ ذلك يساعدها حياتياً ونفسياً، فسألته:
«هل لديك مانع من ان اشتري حاجياتنا بنفسي؟ اعتقد انك

وليزا سوف تتمتعان ببعض الوجبات التي تذكركما بالوطن، وسيكون من دواعي سروري ان اعدها لكما. كذلك فان توباز سوف تساعدني».
«طبعاً، طبعاً».
ونظر بهدوء الى وجهها المتوتر بعض الشيء ثم اضاف قائلاً:
«ليس عليك يا تينا ان تطلبي اذني للقيام بأي تغيير او تعديل في بيتك. انا لست طاغية متعنتاً كتلك العمة المعقدة».
«اني اعرف ذلك تماماً، ولكني غريبة نسبياً على هذا المسرح... كما ان لبعض الرجال طرقاً واساليب معينة لا يحبون الخروج عنها او تعديلها».
«لن يزعجني ابداً ان اتناول بين الحين والآخر فطوراً مؤلفاً من اللحم المقدد والبيض، ومع الشاي عوضاً عن القهوة. والطاهي الذي يعمل لدينا ليس خبيراً بصنع الحلوى، وبخاصة تلك التي تحتاج الى المربى».
ثم وضع يده على خدها مداعباً، واضاف مبتسماً:
«هل ارتاح بالك الآن، يا فتاتي الخجولة؟».
اومأت برأسها علامة الموافقة ولكنها لم تتمكن الا ان تقول له:
«على اي حال، فأنتم الرجال يمكن ان تكونوا احياناً مخلوقات مزعجة».
ارتفع حاجباه بسرعة وقال لها ضاحكاً:
«ان كنت ازعجك قليلا، فلأنني فقط اكبر سناً واكثر خبرة. ولكني لا انسى ما اخبرتني به من انك لا تعرفين الكثير عن الرجال بسبب كره عمتك للجنس واشمئزازها منه».
ثم حدق بها ومضى الى القول بشيء من التهكم:
«ان لم تتمكني من فهم الايحاءات والتلميحات المختلفة التي اوجهها لك عن ابتعادي عنك بعض الوقت، فيمكنك ان تقفلي باب غرفتك بالمفتاح. اني اشك كثيراً في قدرتي على تحطيم ذلك الباب

الخشبي القوي».

احمرت وجنتاها بشدة وقالت له:

«لا داعي للتفوه بكلمات كهذه! تأكد بأنني فهمت تلميحاتك كاملة».

«اذن يمكننا تناسي الموضوع برمته».

قالها بلهجة جدية ونبرة حادة كالفولاذ. وشعرت تينا بارتياح عميق عندما شاهدت ليزا تقترب منها بسرعة وتضع ازهارها في حضن صديقتها الجديدة وتقول:

«اوه، ان الحر شديد للغاية!».

وجّه اليها والدها امراً فورياً قائلا:

«اذن اهدئي واجلسي في الظل!».

تبرمت ليزا قليلاً ونقلت نظراتها بين ابيها وتينا بقلق ثم قالت:

«لا تقولا لي انكما بدأتما بالشجار منذ الآن!».

تجنبت تينا نظرات جون وقالت لليزا فيما كانت تتظاهر بتأمل الأزهار البرية الجميلة:

«بالطبع لا، يا حبيبتي!».

ثم ابتسمت واضافت:

«هل تريدين ان اعد لك اكليلاً من هذه الأزهار الزرقاء الرائعة؟».

وفيما استلقى جون على الحشائش الخضراء واضعاً يديه تحت رأسه، كانت ليزا جالسة القرفصاء تراقب تينا وهي تعد لها الاكليل الذي سيزين رأسها. وما ان انتهت تينا من عملها حتى توجه الثلاثة الى مطعم على شاطىء البحر حيث شرب كل منهم زجاجتين من العصير المثلج المنعش. حاولت تينا جاهدة ان تشعر بالارتياح الا ان اعصابها ظلت متوترة. تأملت باعجاب كبير سلسلة جبال جمايكا، التي كانت تبدو قرمزية اللون اثناء المغيب. وفي طريق العودة، وضعت ليزا رأسها على كتف تينا واغمضت عينيها. وأحست تينا

بدفق من الحنان والمحبة تجاه تلك الطفلة الحبيبة فطوقتها بذراعها... فيما كان جون يقود سيارته غير مبال بما يجري قربه، وبما يمكن لهذه الزوجة الشابة ان تقدمه من حب وعاطفة. ولأنها صغيرة السن وحساسة وتخشى التدخل في شؤونه، فقد تركته غارقاً في تفكير عميق واغمضت عينيها...

اكتشفت تينا في اليوم التالي ان ذهابها الى السوق برفقة توباز تطور رائع ومثير للغاية. اوصلهما سائق جون حتى رصيف الميناء، حيث طلبت منه تينا انتظارهما هناك لحين عودتهما. كانت توباز تسير قرب تينا وعلى رأسها سلة كبيرة مخصصة لحمل الحاجيات القليلة التي تنوي السيدة ابتياعها.

وتساءلت تينا بصمت عما اذا كان من الحكمة القيام بهذه الجولة في السوق الشعبي الذي يعج بابناء الجزيرة من صيادي اسماك وعمال ومزارعين. وبعد تحليل دقيق للدلائل الكثيرة التي تشير الى انها قد تصبح كضيفة في ذلك القصر الكبير ما لم تتصرف بقوة وبسرعة، وجدت ان خروجها الى السوق كان ضرورياً الى حد كبير. وتذكرت كيف شعر الطاهي وكبير الخدم بالامتعاض عندما استجوبتها ذلك الصباح عن بعض الامور المتعلقة بالمطبخ وبالطعام، وكيف انها لم تتراجع بل اصرت على موقفها... وانتصرت. انها ربة البيت، وعلى جميع العاملين فيه اطاعة تعليماتها واوامرها... مع انها على اتم الاستعداد للاستماع الى ارائهم والأخذ بالجيد منها. وتذكرت كيف سألها الطاهي بشيء من العصبية وهو على اهبة رمي القلنسوة البيضاء وصدار الطهي:

«وهل تذمر السيد جون من المأكولات التي اعدها له؟».

حاولت تينا طمأنته وتهدئة اعصابه قائلة:

«انك طاه جيد، يا جايسون. ولكني اريد اطلاعك على كيفية اعداد بعض الوجبات التي نحبها في بلادنا».

وتذكرت كيف انها شرحت له عن الامكانات المتعددة لتقديم بعض انواع الطعام وعدم الاصرار على تقديمها دائماً بالطريقة نفسها.

نظر اليها جايسون بغضب وقال لها بحدة:
«الخضار المسلوقة لا بأس بها على الاطلاق».
«بالتأكيد، ولكن يجب الاّ تقدّم على هذا الشكل اكثر من مرتين في الاسبوع. اسمع يا جايسون! انا لا احاول محاربتك، ولكني متأكدة من انك تولي مصلحة السيد جون وراحته اهتماماً قلبياً بقدر اهتمامي انا. وعليه، فان تنويع وجبات طعامه ليس بالأمر السهل».

ولأن الرجال في جزر الهند الغربية يعجبون كثيراً بالنساء اللواتي يسهرن على راحة ازواجهن ويعملن على اسعادهم، فقد علت وجه جايسون فجأة ضحكة عريضة وسمح لها بفتح الثلاجة وخزانة المأكولات وتفحص محتوياتهما. وانتبهت تينا فجأة الى انها وتوباز وصلتا الى الساحة التي تقع فيها المحال والمخازن التي تنبعث منها روائح الأسماك واللحوم الطازجة بالاضافة الى الفاكهة والخضار... وكل ما تشتهيه المعدة.

في تشورلي، كانت عمتها مود تهتم بهذه الأمور. اما اليوم فقد سنحت لها فرصة ذهبية لتقوم بتجربتها الأولى كربة بيت... مدللة. محفظتها محشوة بالأوراق النقدية من الفئات الكبيرة، خادمتها الخاصة تحمل لها اغراضها وتعمل ايضاً كدليل سياحي، والسائق ينتظرها في تلك السيارة الفخمة المريحة. هل كانت جوانا تفعل الشيء ذاته؟ تشتري حاجيات البيت بنفسها؟ لا، يبدو انها لم تكن من هذا النوع من النساء! واحست بالغريزة انها تختلف تماماً عن تلك السيدة الراحلة التي كانت تحب البحر هادئاً او هائجاً، تركب الخيل وكأنها ولدت على ظهر حصان، تقود السيارات والزوارق السريعة بمهارة مماثلة، وتظهر براعة وذوقاً رفيعاً لا مثيل لهما كمضيفة تقيم اجمل السهرات والحفلات. كانت زوجة مفعمة بالحيوية والنشاط، ومضيفة كريمة، وصديقة تحظى بشعبية كبيرة... ومع ذلك فقد حدث خطأ ما بين جون وجوانا! وشعرت بالتأكيد ان بولا كانت

سبب الخلاف. وحسبما فهمت من رالف كاريش، فان من الواضح ان الارتياب كان يؤلم جوانا الى درجة كبيرة ويثير اعصابها وانفعالها الى حد مخيف. وكان جون يختلي بها مرات عديدة كي ينحت على مثالها تماثيل رائعة من الرخام. ألم يكن من السهل جداً على امرأة مثيرة ومغرية مثل بولا ان تسمم عقل ابنة عمها ببعض التصرفات المتعمدة؟

«عزيزتي... انني مسرورة جداً بلقائك هنا!».

لم يكن مجال للخطأ... فذلك الصوت الناعم وتلك اللهجة المصطنعة ليسا الا لها!

بولا! التفتت نحوها وارغمت نفسها على التحدث بنعومة قائلة:
«مرحباً بك، يا آنسة كاريش. كما ترين، اني اتسوق بعض الحاجيات للبيت».

ابتسمت بولا بدلع وتظاهرت بالاستغراب... والاعجاب:
«يا للسماء! كم انت حية الضمير... ترهقين نفسك بالأعمال المنزلية وانت في شهر العسل! انا اتسوق دائماً بواسطة الهاتف. اما انتن ايتها العرائس الجديدات الصغيرات فيبدو انكن متحمسات دائماً لاسعاد ازواجكن وارضائهم مهما كان الأمر».

وشدت على ذراع تينا ثم تابعت قائلة بخبث مماثل:
«لو كنت مكانك يا عزيزتي، لما اضعت قوتي وطاقتي في امور صغيرة كهذه، وكي يحتفظ الانسان بنضارة شبابه في المناطق شبه الاستوائية، يجب عليه ان يحتفظ بهدوءه وبرودة اعصابه. ويبدو لي الآن انك بحاجة ماسة لشراب بارد ينعشك ويخفف عنك شدة الحر. اني ذاهبة الى نادي سبيندريفت، فما رأيك بالانضمام الي؟ يجب ان نتعرف على بعضنا بطريقة اوثق وافضل...».

وضحكت بلؤم واضح وهي تضيف قائلة:
«ثم... اني صديقة مقربة جداً لزوجك!».

لم يفت تينا معنى هذه الكلمات وقررت ان تقبل التحدي. نظرت

الى العينين الخضراوين الساحرتين وقالت لبولا باسمة:
«اني اقبل دعوتك بسرور، يا آنسة كاريش».
«ناديني بولا، يا عزيزتي. يجب الا يكون بيننا اي شكليات على الاطلاق. اني متأكدة من أننا سنجد صفات عديدة مشتركة بيننا».
ارتجف جسم تينا، فسارعت لاخفاء ذلك بالنظر الى خادمتها التي تأخرت عنها بضع خطوات أدباً واحتراماً. ادهشتها نظرات توباز العدائية نحو بولا، ولكنها تجاهلت ذلك وقالت لها بعد ان طلبت منها العودة بالسيارة:
«اخبري زوجي يا توباز بانني مع الآنسة كاريش في النادي. قولي له انني سأعود الى البيت بسيارة اجرة».
«نعم يا سيدتي».
وهرولت توباز نحو السيارة وهي تهز ذراعيها وتصفر لحناً راقصاً فيما بدا انها لا تحس بوجود تلك السلة الثقيلة على رأسها.
«مخلوقات بدائية، أليسوا كذلك؟».
غضبت تينا لسماعها تلك الملاحظة الحقيرة وارادت ان تقول لبولا انها هي البدائية...
انها مشبعة بالكراهية والحقد! الكراهية التي يخلفها حب فاشل... والتي تأكل قلبها كمرض خبيث! الكراهية التي جعلت منها امرأة خطرة متسلحة ببعض المعلومات السرية الموجّهة الى قلب تينا الذي لا يتحمل الكثير من النكسات والصدمات!
وتأملت تينا هذه النمرة الشرسة التي سبقتها بخطوات بطيئة ومتكاسلة كاحدى عارضات الأزياء اللواتي شاهدتهن مع جاي لاينغ عندما كانتا تبتاعان جهاز عرسها وبعض الملبوسات الخاصة بالسهرات والحفلات. واحست بأن فترة اقامتها القصيرة في لندن وسنوات الفراغ الطويلة التي امضتها مع عمتها المعقدة مود في تشورلي... اصبحت جزءاً من التاريخ، حياة اخرى، عالماً آخر! كل ما حدث معها في الماضي حلم وخيال... اما الواقع فهو الآن،

بايجابياته وسلبياته... بافراحه واتراحه...

٦- احلامها المنهارة!

اخذ الأعضاء الآخرون في نادي سبيندريفت يحيّون زميلتهم بولا كاريش ويتأملون تينا ملياً بفضول واضح. وقدّمتها بولا الى مزارع وزوجته، لانهما على ما يبدو جاران لم ترد تجاهلهما كلية. وعندما دعاهما الزوجان الى مشاركتهما في شرب القهوة، تقدمت بولا ببعض الأعذار اللطيفة مما كان يدل صراحة على انها تنوي الاختلاء بتينا.

جلستا الى طاولة تطل على الشاطىء وطلبت بولا من النادل احضار زجاجتين من العصير البارد. وفيما كانتا تنظران الى البحر، شاهدتا رجلا عملاقاً عريض المنكبين اشقر الشعر يقف بتحدٍّ على لوحة خشبية طويلة تحملها الأمواج العالية المتكسرة على الشاطىء بعنف وقوة. اشعلت بولا سيكارة وقالت لضيفتها المحادثة:

«رجل مثير للغاية، أليس كذلك؟ هذا النوع من الرجال لا يهمه في الحياة عادة سوى المرح والنساء، ولكن داسيه دو بندريمون يشذ عن هذه القاعدة. اعتقد انه من أسرة عريقة جداً، ويقال ان ممتلكات عائلته في مارتينيك تدل على ثراء فاحش».

شربت تينا جرعة من العصير البارد المنعش وسألت مضيفتها بهدوء:

«أليس من غير المألوف الى حد ما ان يكون للفرنسي شعر اشقر الى هذه الدرجة؟».

ابتسمت بولا وأجابتها:

«انه رجل فريد في مجالات وجوانب عدة. فعلى الرغم من هذه الجاذبية الجسدية، فهو من اولئك الرجال الذين يمكنهم التخلي عن عشيقاتهم بالسرعة ذاتها التي يأسرون بها قلوبهن. وتجد الغالبية العظمى من النساء في رجل كهذا تحدياً أزلياً. وتشعر كل منهن ان على هذا الرجل ان يستقر وان يتزوج... منها هي بالذات!».

ثم غمزتها بشيء من الخبث وأضافت:

«وبمناسبة الحديث عن الزواج، هل استقرت بك الأمور كزوجة؟».

قالت تينا لنفسها ان الوقت حان لبولا على ما يبدو لتبدأ بالتحرش لمعرفة تفاصيل زواج جون الثاني. وشبّهتها بالنحل الذي يحوم حول الأزهار خارج النادي. ابتسمت تينا وقالت بابتهاج:

«بطريقة سهلة وجيدة الى درجة كبيرة. ليزا وأنا أقمنا صداقة حميمة منذ البداية».

علقت بولا بخبث واضح:

«ومع جون، طبعاً؟».

كان السؤال فضولا ذا حدّين. وقررت تينا ان تجيب عليه بهدوء وروية، متظاهرة بعدم التأثر والانفعال:

«طبعاً اننا صديقان. الا تعتقدين بأن على المرأة وزوجها ان يكونا

هكذا؟».

«مع الأزواج الآخرين فقط، يا عزيزتي».

وتحولت بولا من التراخي والكسل الى التأهب والانتباه دون ان يظهر اي تغيير على وجهها او في حركاتها. ولكن التبدل كان واضحاً في نظراتها وطريقة اشعالها السيكارة الثانية. وقالت:

«اقامة صداقة في أوضاع هادئة وعادية أمر لا بأس به على الاطلاق، ولكنها تكاد تكون مستحيلة في علاقة عاطفية وغرامية. واذا كانت الفتاة تريد علاقة كهذه مع الرجل، فما عليها الا البقاء مع امها».

ادركت تينا ان حظها في خوض هذه المعركة غير المتكافئة يكمن في الرد على تلك الملاحظات القاسية بصدق وصراحة، فقالت:

«امي متوفية. ربتني عمتي منذ سنتي الأولى. وأؤكد لك اني افضل ان اكون مع جون، لا مع غيره».

«كنت تعملين دائماً لكسب عيشك، أليس كذلك؟ هل كنت تشتغلين في احد المحال التجارية... ام في وظيفة اخرى مماثلة؟».

احمرت وجنتا تينا انفعالا وغضباً بسبب الطريقة والأسلوب اللذين كانت تستخدمهما بولا. وتمنت لو ان بامكانها اجابتها بالقسوة التي تستحقها... ان تقول لها انها تحتقر الفتاة التي تعيش عالة على شقيقها، حتى ولو كان ذا دخل مرتفع وفي بحبوحة مادية. ولكنها ضبطت اعصابها وقالت:

«كنت اعمل في احد المكاتب، يا آنسة كاريش... في مجالي الطباعة والاختزال».

«ضاربة على الآلة الكاتبة؟».

وتأملت العينان الخضراوان العروس الشابة بدقة وتفحّص وكان صاحبتها لا تجد فيها ما يثير اهتمام أي رجل او رغبته. ابتسمت بخبث واضح وهي تقول:

«يبدو انك اصطدت سمكة كبيرة بطُعم صغير، أليس كذلك يا

عزيزتي؟».

سمعت تينا هذا السؤال وأحست بضيق بالغ وعدم قدرة على مجابهة هذه الكلمات الجارحة بمثلها، وبخاصة عندما تكون وجهاً لوجه امام الشخص الذي يتفوّه بها. لو كانت بمفردها، لتمكنت من اعداد اجابات قاسية وملائمة. ومع ذلك، قررت المضي في الدفاع فقالت:

«أنا... أنا لم اتزوج جون كي أضمن لنفسي الرفاهية والشهرة والانفاق بدون حساب، اذا كان هذا ما تحاولين الايحاء به! لم يكن يهمني لو انه رجل فقير وفنان فاشل!».

«اوه، تينا! لا تحاولي اقناعي بأنك لا تحبين طعامك دسماً وشهياً او انك ترفضين تناوله في مطعم فاخر! لم يكن جون راغباً كثيراً في القيام بتلك الرحلة الى بريطانيا... ان رجله اليسرى تؤلمه كثيراً، وأتصور انك بالطبع تعرفين ذلك!».

نظرت تينا الى الشاطىء متجاهلة كلام بولا، ولكنها تأثرت لأنها لم تعرف بأن رجله التي اصيبت قبل ثماني سنوات لا تزال تؤلمه. مسكين جون! وسمعت بولا تمضي في حديثها الجارح قائلة:

«اعتقد ان وجودك كان مصادفة! كان جون بدأ يشعر لتوه باقترابه من سن الأربعين وبالشيب يدب سريعاً في رأسه! كان بحاجة لتأكيدات يتطلبها الرجال في مثل هذا العمر... بأنه لا يزال قادراً على الايقاع بفتيات مراهقات او في بداية العشرينات من عمرهن بحبه وغرامه. ومعظم الرجال يقيمون علاقات كهذه لبعض الوقت ثم يضعون حداً لها قبل التورط بأمور لا يحبونها او يريدونها. وهنا يجب تهنئتك لأنك تمكنت من ربطه بك شرعاً وقانوناً قبل تمكّنه من الافلات».

«شكراً».

قالتها تينا دون تهكم وسخرية، فيما كانت افكارها آنذاك مع جون الذي لا تعرف الا القليل عما يسره او يزعجه وعما يفرحه او يحزنه.

وظهر جليا ان بولا تعرف عنه اكثر بكثير. رفعت قبعتها البيضاء الأنيقة وهزت رأسها فتطاير الشعر متحرراً من سجنه. . .

«اني اقترح عليك بمحبة واخلاص ان تقصي شعرك وتصففيه وفقاً للأساليب الحديثة المتّبعة حالياً. فالشعر الطويل يبدو هزيلا وباهتاً ان لم يسرح بالأسلوب الصحيح».

تعبت تينا من الملاحظات المزعجة التي تنهمر عليها كالسهام السامة، وقررت الرد بقوة:

«طلب مني جون بشكل خاص ألا اقص شعري. انه يحبه على هذا الشكل».

ضحكت بولا باستهزاء وقالت:

«ولكنه يظهرك كصورة في القصص المخصصة للصغار، مثل أليس في ارض العجائب! ثم. . . هل تزوجك جون لأنه يريد اختاً لابنته؟».

«آمل بالتأكيد الا يكون ذلك هدفه!».

ظهرت الحدة بوضوح في كلمات تينا التي هي عادة هادئة ومحافظة. وتمكنت من تضمين تلك الكلمات الست معنى لم يغب عن بال بولا وفهمها. ولاحظت تينا الصدمة التي احدثتها تلك المدلولات على بولا. وفجأة تخلت بولا عن هدوئها وتأملها للبحر، وطلبت من النادل احضار فنجانين من القهوة. ارادت تينا ان ترفض. . . ان تهب واقفة وتهرب، مذعورة كفأرة تجرأت على الخروج لحظة من جحرها. امسكت بقبعتها المصنوعة من القش ولكن بولا استوقفتها قائلة:

«أريد ان أريك شيئاً».

فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها صورتين ملونتين واعطتهما للعروس الشابة. اخذت تينا الصورتين بيد مرتجفة تظهر بوضوح مدى توتر اعصابها. انه جون. . . وزوجته الراحلة! وتأملت تينا بذهن شارد وجه جوانا الرائع الجمال. . . عينيها الخضراوين

الكبيرتين. . . شعرها الفتان! وأحست تينا بالألم يعصر قلبها، لأن جوانا كانت فاتنة الى ابعد درجة. . . حلم الرجل السعيد الحظ، جنته على الأرض!

«ابنة عمي. . . زوجة جون الأولى، التي ماتت غرقاً».

«اعرف. كانت جميلة. اخبرني جون مرة انها كانت جميلة. ولكن هذه الكلمة ليست كافية، لا بل انها باردة! كانت تضج حياة ونشاطاً، دافئة، حنونة!».

وسألتها بولا بشيء من الحدة:

«هل تحدث جون كثيرا عنها؟».

كانت تينا لا تزال حائرة، شاردة الذهن. اومأت برأسها نفياً، فيما كانت تقول لنفسها ان وفاة جوانا لم تكن تعني نهاية سيدة جميلة وحسب، بل اتساع الهوة التي تفصل بين جون وسعادته. . . والتي كان يحاول جاهداً عبورها او تضييقها مع زوجته لو لم يغيّب القدر وجهها! ومن الواضح ان هذا الألم سيظل يلاحقه، ويلقي ظلالاً من الأسى والعذاب على زواجه الثاني! لماذا اعطتها الصورتين؟ هل كانت تود ان تريها مدى المنافسة القوية التي تواجهها؟ أم ان الهدف هو تحذيرها من انها قادرة على اغراء رجل مثل جون بالابتعاد عن امرأة رائعة مثل جوانا. . . وبالتأكيد عن امرأة بسيطة وعادية مثلها هي؟ أعادت اليها الصورتين فيما خيّم صمت ثقيل قطعه صوت رجل يقول بتهذيب بالغ:

«هل تسمح لي السيدتان بالانضمام اليهما؟».

رفعت تينا رأسها بدهشة لتواجه عينين عسليتين ووجهاً برونزياً باسماً لا يمكن نسيانه بسهولة.

«داسيه!».

لفظت بولا اسم الرجل باغراء واضح ومدت يدها لمصافحته. وفيما كان يمسك بتلك اليد الناعمة ويرفعها لتقبيلها، أضافت قائلة:

«يمكنك بالتأكيد الانضمام الينا. ماذا تشرب؟».

ترك يدها بتردد مغيظ وقال مبتسماً:

«طلبت من النادل احضار فنجان من القهوة المرة».

«هل كنت متأكداً الى هذه الدرجة اننا سنقبل بانضمامك الينا؟».

«أي رجل واثق من نفسه يعرف انه دائماً مقبول لدى النساء».

ثم ابتسم وقال لها، فيما كان يشير الى تينا:

«ألن تعرّفيني الى هذه الصبية اللطيفة؟».

«انها عروس جون تريكارل. تينا، اقدّم لك داسييه دوبندريمون... العازب الخطر الذي كنت احدثك عنه».

«كيف حالك، يا سيد دوبندريمون؟».

وجّهت تينا هذا السؤال التقليدي وهي تحاول جاهدة عدم الاستسلام لعادتها المزعجة التي تدفع الدماء بقوة الى وجنتيها كلما التقت غريباً او سمعت كلام الاطراء والثناء. ولكن هذا الرجل هو من النوع الذي يقدر على دفع نساء مثل بولا نفسها للاحمرار خجلا، ان هو شاء ذلك. قبّل يدها كما فعل مع بولا، ثم جلس قربها وقال لها بعد ان تأملها ملياً:

«اذن انت هي العروس التي كان الجميع في سانت مونيك ينتظرون وصولها بفارغ الصبر! اني سعيد جداً بمعرفتك، يا سيدة تريكارل!».

«شكراً».

قالتها تينا وهي تبتسم بحياء، ولكن دون احمرار في الوجنتين الجميلتين. انه رجل ساحر ويمكن له بكل سهولة ان يشكّل خطراً حقيقياً على قلوب النساء، باستثناء العاشقات الحقيقيات اللواتي سلمن قلوبهن بصدق واخلاص لغيره... وهي منهن! احضر النادل قهوته فرفع فنجانه وشرب جرعة ثم قال لتينا وهو يبتسم:

«يعجبني كثيراً قول اندلسي قديم مأثور عن الزواج... الزيجات كالبطيخ، تجدين واحدة جيدة بين كل مئة. آمل من صميم قلبي في ان يكون زواجكما مليئاً بالسعادة والخير والهناء».

قبل ان تتمكن تينا من شكره على هذا التمني الطيب، تدخلت بولا قائلة له:

«اعتقد، يا داسييه، انك تنظر الى الحب بسخرية!».

«ألا ننظر جميعاً الى الحب بسخرية ما دمنا لم نقع فيه؟ الحب يا بولا مرض لا نجد مناعة ضده سوى القلائل منا. وأنا شخصياً لا اتوقع تمضية بقية حياتي دون الاستسلام لهجومه».

تضايقت بولا من ملاحظاته فردّت بشيء من التهكم:

«كنت اظن ان الفرنسي ينظر بروح ومنطقية الى الحب».

«ليس الى الحب يا صديقتي، بل الى الزواج. فعندما نتزوج، لا نتوقع من الزواج ان يدوم ويظل سعيداً ما لم نعمل على مساندته وتدعيمه. الزواج... كالسيارة، ويفضل الرجل عادة اقتناء سيارة خاصة به عوضاً عن استخدام سيارة اجرة او سيارة صديقه. والسيارة، كما تعرفين، بحاجة دائمة للسهر والعناية».

«داسييه! انك حقاً متوحش وقاس! كنت اتوقع منك التحدث عن الحب والكراهية، لا ان تقارن النساء... بالسيارات! هل افهم منك اذن انك تعتبر الزوجة ملكية خاصة... آلة تستغلها ما دامت اجهزتها قادرة على العمل؟».

ضحك بهدوء وأجابها قائلا:

«آمل يا بولا ان يعتبر كل رجل زوجته ملكية خاصة، اذ ان ملكيته وحدها هي التي يعتبرها ذات اهمية وقيمة حقيقيتين».

ثم نظر الى تينا وسألها:

«وأنت يا عزيزتي، هل تشعرين ان تملّك الرجل لزوجته لا يشكل زواجاً مثالياً؟ هل تفضلين ان تقودي السيارة بنفسك؟».

ردّت عليه تينا بهدوء بالغ:

«أنا لست من النوع الذي يريد اكثر من ان يكون بجوار السائق. هذا يكفيني لأكون سعيدة ولكني اعرف ان هناك عدداً كبيراً من النساء يرغبن في مشاطرة مقعد السائق».

«التأقلم مع رغبات الرجل صفة حميدة في المرأة. اننا نبحث جاهدين عن مثل هذا النوع من الأشخاص، ولكن حظنا لم يساعدنا بعد على ايجاد الشخص المناسب. وحتى عندما نشعر باقترابنا من تحقيق الهدف، يسارع غيرنا ويخطفه من أمام عيوننا».

لم تتأكد تينا ما اذا كان يتحدث عن نفسه شخصياً، ولكنها لاحظت ان كلماته حملت معنيين بالنسبة لبولا. وأحست بأن كراهية بولا لها تقترب منها كالحية السامة... تمسها...

«يجب ان اعود الى البيت!».

قالت تلك الجملة ووقفت قبل ان تعطي المجال لأحد للاعتراض. وقف داسيبه أدباً، فيما قالت بولا بغنج ودلال:

«لدي موعد للغداء، فما رأيك يا عزيزي ان توصلها أنت؟».

«سيكون ذلك من دواعي سروري البالغ».

امسك بمرفقها وشدّها نحوه برفق وكأنه يريد حمايتها ثم ودّع بولا مبتسماً قبل ان يتوجها الى الخارج. وفيما كان يفتح لها باب سيارته الفخمة، نظرت اليه بامتنان وقالت:

«أرجو الا يكون لديك اي موعد او... يمكنني ان استقل سيارة اجرة...».

«انك تقلقين كثيراً بسبب الأخرين، يا سيدة تريكارل. من علّمك ان تكوني متوترة الأعصاب طوال الوقت، كفارة صغيرة؟ هل هو زوجك؟».

«جون؟».

احمرّ وجهها قبل ان تهز رأسها نفياً وتضيف:

«جون ليس قاسياً معي على الاطلاق».

«عظيم».

وانطلق بسيارته مسرعاً ومتجاوزاً الحد الأقصى للسرعة بهامش كبير. استغربت تينا كيف انها تشعر معه بالارتياح اكثر مما تشعر مع جون... كأنها تعرفه منذ سنوات عديدة. خفف من سرعة سيارته

وقال مبتسماً:

«انك فتاة تحب كثيراً ارضاء الناس. تحبين ان يبتسموا لك وان يكونوا طيبين معك. ولكني احذرك من ان بولا كاريش تحتفظ بوداعتها ودماثتها للرجال الذين تعرفهم».

«اعرف ذلك. ولكنها دعتني الى النادي ولم تسمح لي اخلاقي بالرفض».

«اعتقد انها قالت لك شيئا اغاظك قبل انضمامي اليكما مباشرة. هل اكون وقحاً الى درجة كبيرة لو سألتك عما قالته لك؟».

«اعتقد انك تعرف ان جون كان متزوجاً من ابنة عم بولا، وقد غيّبها القدر في حادث مؤسف. وكانت بولا تريني صورة لجوانا، واعتقد... اعتقد ان الجمال الساحر لهذه السيدة الراحلة يلاحقني كشبح من الماضي».

«وتعتقدين ان هذا الشبح لا يزال يلاحق زوجك؟ وهل بولا تشجعك على مثل هذا الاعتقاد؟».

«انها ليست بحاجة لتشجيعي، فهذه هي حقيقة واقعة».

نظر اليها ملياً ثم قال لها بجدية متعمدة:

«وأنت ايضا، يا صغيرتي، ذات جمال خاص... ذلك النوع الرائع من الجمال الذي يشع من الداخل... الجمال الحقيقي. وأنت شابة لا تعرفين المراوغة والتظاهر، وهذه امور لها حلاوتها وجمالها».

ثم ابتسم وأضاف قائلا:

«أنت حلوة وطيبة للغاية يا تينا».

«وأنت ايضا انسان طيب».

قالتها دون خجل او حياء ولكنها احست بشيء من الأسف لأنها تسمع كلاماً لطيفاً كهذا من هذا الرجل الغريب وليس من زوجها. ومع ذلك فقد شعرت بأن مثل هذا الكلام يشجعها ويدعم ثقتها بنفسها... وبخاصة ان كان يعني ما يقول. هز داسيبه رأسه عندما

ابتسمت له وقد خيمت على نظراتها بعض الشكوك. ثم قال لها مؤكداً كلامه السابق:

«اني اعجب منكن ايتها الشابات البريطانيات لانكن لا تعرفن مدى سحركن. الا ان ذلك لا يمنع ان تشكل صفة الانزواء والتراجع اغراء قوياً بحد ذاتها. ولدي اعتقاد شبه راسخ بأن واحدة منكن هي التي ستسلب قلبي... جدي سبقني الى ذلك».

وعندما وصلا الى قصر الماء الأزرق، دعته تينا لتناول الغداء فرفض شاكراً لأنه على موعد سابق. وأحست بشيء من الأسف وهو يلوح لها بيده مودعاً قبل ان يركب سيارته وينطلق بها عائداً الى البلدة. ولم تنتبه لوجود زوجها في قاعة الاستقبال الا بعد ان اصبحت في منتصفها. حيته بذهول وهي مسمرة بمكانها اقترب منها ووضع يديه على كتفيها فارتعش جسدها من آلام الحب التي هزت عظامها وسرت في عروقها. أحس بارتعاشها الذي لم تتمكن من السيطرة عليه، فشدّ على الكتفين الضعيفتين بقوة ثم تركها قائلاً بشيء من الحدة:

«لا تبالغي كثيراً في البقاء خارج البيت. فمع ان النسيم العليل يرطب الأجواء، الا ان شمسنا حارقة».

حاولت تينا ان تجيبه بصوت عادي، مع انها تضايقت جداً من ملاحظته وحرمانه اياها القبلة التي كانت تنتظرها بشغف ومحبة. قالت له:

«التقيت بولا كاريش... ألم تخبرك توباز؟ التقيناها فيما كنا نغادر المنطقة التجارية ودعتني الى نادي سبيندريفت. عرفتني على داسييه دوبندرعون... الفرنسي الثري الذي كانت تحدثك عنه ليلة وصولنا. انه انسان طيب جداً تكرم وأوصلني الى البيت».

ابتسم جون وقال لها:

«تينا! أنا لم اطلب منك كشفاً بتحركاتك وبما تقومين به. اني مسرور لأنك امضيت وقتاً ممتعاً هذا الصباح. هذا ما اريده لك...

ان تمضي اوقاتاً ممتعة مليئة بالمرح».

اوقاتاً ممتعة! مشت نحو مكتبه ورفعت احد الحصانين البرونزيين الواقفين باعتزاز ثم سألت زوجها، الذي علمت بالتأكيد ان الحصانين الجميلين من صنعه:

«متى ستعلمني ركوب الخيل؟».

«بعد ظهر اليوم، ان لم تكوني متعبة جداً بسبب جولتك هذا الصباح!».

«عظيم. سأذهب الآن لآخذ حماماً بارداً استعداداً للغداء».

بعد ان انهت حمامها وارتداء ثيابها وهمت بالنزول، دفعها فضول لا يقاوم الى دخول غرفة زوجها. شاهدت على الحائط صوراً له من أيام الجامعة والبحرية وصورة كبيرة لابنته على الطاولة الصغيرة المحاذية لسريره... ولكنها لم تشاهد صورة لجوانا. احمرّ خداها وتسارعت دقات قلبها... انه اذن لا ينام ووجه جوانا الجميل يحلق به! هل هذا يعني انه يحاول نسيانها؟ هل اصبح يحب زوجته الثانية؟

اغلقت الباب وهي تهز رأسها بحسرة وأسى. لو انه يحبها، لأظهر حبه بشكل او بآخر!

امضت تينا الأيام القليلة التالية براحة وهناء، وتعلمت اشياء عديدة لم تكن تحلم بها عندما كانت تعيش مع عمتها مود في تشورلي. اكتشفت اللذة والمتعة الفائقتين في ركوب الخيل وقيادة المراكب الشراعية الصغيرة وصيد الأسماك. واعطاها جون درسين او ثلاثة لتعلّم قيادة السيارات، ولكن صبره كان ينفد بسرعة في هذا المجال. وشعرت بارتياح كبير عندما اقترح عليها الالتحاق بأحد المراكز المختصة، قبل ان تقضي على سيارتها الفخمة بين ليلة وضحاها:

«لا يمكننا جميعاً ان نكون بارعين في جميع المجالات. انا لم أدّعِ ابداً بأنني اكثر من انسانة عادية».

لم يعلق بشيء على جملتها، وكان صمته كافياً! انها شابة عادية، ولن تتظاهر ابداً بعكس ذلك! غرزت اظافرها في ذراعيها بقوة

وحنق، وتمنت من صميم قلبها لو انها لم تذهب الى شاطىء تشورلي في ذلك اليوم الخريفي الذي قلب حياتها راساً على عقب. ولكنها عادت في صباح اليوم التالي تشكر الظروف على ذلك اللقاء المصيري. وكان سبب هذا التحول الجذري قدومه الى غرفتها وهو لا يزال مرتدياً ثياب النوم، وجلوسه على حافة سريرها لمشاركتها طعام الصباح. ارادت ان تنقض عليه وتطوقه بذراعيها... وتتحمل كافة العواقب والنتائج المترتبة على ذلك. ولكنها ليست مغامرة بطبيعتها، وهي تفضل التعلق بقوة بما لديها عوضاً عن المغامرة في سبيل اشياء افضل. راقبته بدقة فلم تتمكن من اكتشاف ما يدور في خلده. كان يعاملها بلطف ووداعة ولكنها لم تكن في الحقيقة اكثر من شقيقة كبرى لابنته... كما اوحت بذلك بولا كاريش!

وقالت تينا لنفسها ان وجود ليزا لا يضيرها بشيء، بل ان ذلك الوجود يخفف قليلا من حدة التوتر التي يبدو انها تخيم على علاقتها مع زوجها عندما يمضيان امسياتهما على انفراد. وتأثرت كثيراً لأن بامكانها تمضية تلك الساعات الطوال بسعادة وهناء، بدلا من ذلك الانفصال الروحي والجسدي الذي تعرف ان من المستحيل وضع نهاية له. اي شهر عسل هذا الذي يمضي فيه الزوج امسياته منهمكا باعداد رسوم منحوتته الجديدة، في حين تمضيها الزوجة وهي تقرأ القصص والروايات؟ وبدا لها في تلك اللحظات الحرجة ان الحب كتلك الزهرة الاستوائية الجميلة التي تنمو بسرعة وتموت بسرعة اكبر!

وفي تلك الامسية بالذات، وبعد تناول الطعام وشرب القهوة، انتقلا الى قاعة الجلوس وجلسا في مكانيهما المعتادين. وفيما غرق جون مرة اخرى بين صفحات دفتر الرسم الكبير وبدا انه لا يشعر بوجودها، راحت تينا تتأمله بدقة وعناية. كان ينقل غليونه من جانب الى آخر ثم يضع يده اليسرى على جبينه بينما تضيف اليه اليمنى بعض الخطوط المطلوبة. وشعرت تينا ببعض الارتياح لأنها لا تتدخل في شؤونه وتعكر مزاجه، ولأن وجودها على ما يبدو لا يسبب له ازعاجا

يحمله على الانفراد بنفسه في غرفة الرسم والنحت. وحاولت اقناع نفسها بانها... على الأقل... معه! هل يكفي ذلك؟ لا! فهي في الحادية والعشرين من عمرها تسري في عروقها دماء حارة... وحب... ونشوة!

نفد صبرها... تبرمت... تململت! وضعت كتابها جانباً وخرجت الى الشرفة تتأمل شجر النخيل يداعبه النسيم في ضوء القمر. وفاحت رائحة التبغ وسمعت جون يتمتم قائلا:

«ليلة رائعة، أليس كذلك؟ يمكنك ان تعدّي النجوم... أهذا ما كنت تفعلين يا تينا؟ ام انك تتمنين عليها اموراً معينة؟».

«يقال ان بعض الأمور قد تتحقق!».

«وما هي هذه الأمور يا ترى؟ لا، يجب ألا اسألك والا فان امنياتك لن تتحقق».

ثم اقترب منها وسألها:

«هل تؤمنين بالخرافات يا تينا؟».

«ببعضها فقط!».

اضطرت للاعتراف وبخاصة لأن نظرها وقع في تلك الآونة على الزهرة الاستوائية التي شبّهتها بالحب. ثم اضافت قائلة:

«اعرف ان الرجال لا يهمهم في معظم الأحيان سوى الأمور الواقعية والملموسة. ولكن تصور مدى المرح الذي تضيعونه انتم الرجال عندما ترفضون القبول او الاعتراف بالأشياء الصغيرة التي نعتقد نحن النساء انها تجلب الحظ».

«اني اتمنى من صميم قلبي ان تظلي كما أنت الآن قادرة على البقاء حرة من أوهام واقع الحياة وهمومها. ولكن علينا جميعاً في وقت من الأوقات ان ننمو عقلياً وننضج فكرياً. واحذرك من انه ستحدث بيننا مجابهة. كان على هذه المجابهة ان تقع قبل زواجنا. ولكنه لم يكن لدينا الوقت الكافي لاجراء احاديث صادقة وصريحة...».

وتوقف لحظة وهو ينظر الى عينيها ثم سألها:

«هل انت خائفة؟».

خائفة؟ كان يجب ان يسألها اذا كانت مذعورة! انه يريد منها احد امرين. . . اما زواجاً خالياً من الحب او فسخ هذا الزواج الخطأ، بينما هي لا تريد منه. . . سوى حبه! وضع غليونه في جيب سترته ثم طوقها بذراعه بحنان وهدوء وسألها بعد بضع لحظات وهو يتأمل الحديقة:

«ستحضر ليزا بعد ظهر غد حفلة ميلاد احدى صديقاتها، أليس كذلك؟».

هزت رأسها علامة الايجاب وقالت:

«انها تنظر اليها بشوق وتلهف. من المؤسف جداً ان البيوت هنا بعيدة عن بعضها وليست لديها صديقة في منزل مجاور».

اجابها بشيء من البرودة والجفاف:

«ألست معها لحين عودتها الى المدرسة؟».

ثم أضاف قائلا:

«على اي حال، اريد ان آخذك بعد ظهر غد الى اورانج كورال كاي كي تتعرفي على صديقة قديمة اسمها دانا كورتني انها تعيش هناك وهي شخصية محببة سوف تعجبك».

«اورانج كورال كاي! ما اجمله اسماً لجزيرة!».

نظر اليها ملياً وسألها بهدوء:

«هل تحبين سانت مونيك، يا تينا؟ هل ما زالت تبدو لك بمثل الشاعرية التي كنت تتوقعينها عندما حدثتك عنها في ذلك اليوم الخريفي على شواطىء تشورلي؟ ام انك اكتشفت ان معرفتك بها عن كثب طردت من مخيلتك ذلك السحر وتلك الجاذبية؟ تحدث هذه التحولات احياناً على الرغم من تعلقنا اليائس بالأمل في عدم حدوثها».

احست تينا بأن قلبها غار في مكانه وتوقف عن الحركة. هل يحاول جون ان يطلعها على مشاعره تجاهها؟ هل يواجه المشكلة التي سأل عنها قبل لحظات؟ ربما كان وهو في لندن يأمل ان يستعيد معها بعض ما فقده بوفاة جوانا. . . ليجد آماله محطمة على صخرة هذه الشابة السطحية التي اندفع للزواج منها! ارادت ان تبكي، ولكن الدموع ستفضح عواطفها وسوف يضع رأسها على كتفه بحنان ورقة ليجفف دموعها ويخفف من احزانها! الا انها لا تريد شفقة. . . تريد حباً حقيقياً نابعاً من القلب. حافظت على رباطة جأشها وأكدت له بكلمات هادئة انها تعتبر سانت مونيك مكاناً رائعاً وجذاباً.

تصورت نفسها اثناء اجابتها له كأنها سائحة. . . كأنها شخص يتوقع مغادرة الجزيرة عوضاً عن البقاء فيها. امسك جون بكتفيها بقوة فيما كان ينظر اليها بعينين قاسيتين توحيان بأنه يحاول جاهداً السيطرة على نفاد صبره وتململه. وقال لها بعصبية:

«لا تكوني صلبة ومهذبة معي اكثر من الضروري، يا تينا. انه تصرف يربكني ويزعجني. . . تشعرينني بأنني الحقت بك الأذى دون ان أدري. لماذا تبكين؟ هل السبب هو شجارنا في السيارة بعد ظهر ذلك اليوم؟».

اطلقت ضحكة خفيفة تدل على العذاب والتأثر وقالت:

«اوه، تلك الحادثة! لا تخف، اعتدت على وصفك لي بأني شخص عاجز او غير كفوء!».

ضغط على كتفيها بعد ان بدا الغضب الحقيقي على وجهه، وقال:

«انا لا اعتبرك شخصاً عاجزاً ايتها الغبية الصغيرة! تخلّي عن هذه العادة القبيحة التي تدفعك الى التفكير بأنك أقل قيمة وجدارة مما انت! نمّي في نفسك بعض احترام الذات! ارفعي رأسك عالياً!».

«ولماذا افعل ذلك؟ هل تظن انني لا اعرف عندما ينظر اليّ الناس انهم يقارنونني بجوانا ويجدونني بديلا ضعيفاً باهتاً لها؟ ليس لدي مثل جمالها في الوجه والقامة، كما انني شبه مبتدئة في جميع الأمور التي كانت تبرع بها. . .».

وشعرت بألم يعصر قلبها عندما احست في تلك الآونة بالتصاقه بها جسدياً وابتعاده عنها قلباً وفكراً. فاضافت بقساوة لم تندم عليها:

«كان الأجدر بك ان تتزوج بولا . انها تناسبك اكثر مني في مختلف المجالات».

حبس انفاسه بقوة ثم. . . وكأنه احس ان ما من طريقة اخرى لاخراسها، اللهم باستثناء صفعها. . . امسك بوجنتيها وضغط على جسمها ضغطاً شلّ قدرتها على الحركة. . . والتفكير. شعرت بنبضات قلبه. . . وبأن ذراعيه على وشك تحطيم ضلوعها. بدا كأنه يريد عصرها. . . او حتى قتلها. . . خافت. . . ذعرت. . . امسكت بشعره وشدّت بأقصى قوتها. حملها الى الكنبة فيما كانت تحاول يائسة التخلص من قبضته. . . ومن شفتيه الجائعتين. انها لا تريده هكذا!! لا تريد شهوة غاضبة ومتهورة. . . ومع ذلك فقد افلتت شعره وانزلت يديها المرتجفتين الى وجهه الدافىء.

وفجأة. . . ابتعد عنها بسرعة وكأن شيئاً اعاده بعنف الى احاسيسه السابقة. نظر اليها بعينين حائرتين وزائغتين، ثم خرج مسرعاً الى الحديقة! وقالت تينا لنفسها بتأثر وانفعال انه سيكرهها الآن لأنها ارغمته على الكشف عن. . . نهم وألم مبرّح فيما يتعلق ببولا كاريش!

عندما ركبا الزورق بعد ظهر اليوم التالي، احس جون بأن الأمواج تتكسر بقوة اكبر من المعتاد. نظر فجأة الى معاونه جو وسأله:

«هل تعتقد ان في الجو عاصفة؟».

تطلع البحار القديم الى السماء بعينين فاحصتين وأجاب بهدوء:

«اعتقد ذلك ايها السيد، ولكني لا ادري متى ستهب. هل تريدني ان اعيدكما؟».

«لا، سنتابع طريقنا الى جزيرة الآنسة كورتني».

ثم نظر الى تينا وقال لها:

«لا تقلقي! اذا هبت العاصفة فان ليزا ستنام الليلة في منزل

صديقتها».

«أليس من الطبيعي ان أقلق عليها؟».

«وربما ايضا بسبب الذهاب معي الى الجزيرة؟ كان على عمتك مود ان تعلمك يا حلوتي بعض حقائق الحياة، لا ان تدعك تكتشفينها. . . من هذه الرواية او تلك!».

«ماذا تعني؟».

«هيا، هيا! فلو لم تكوني مذعورة الى تلك الدرجة امس، لما انفعلت وتصرفت على ذلك النحو المؤسف! حاربتني كقطة صغيرة ثم هربت الى غرفتك وأقفلت الباب من الداخل. اذكر انني نصحتك بالقيام بذلك، ولكنه لم يكن من الضروري ابداً ان تقولي لي ما قلته عن بولا».

اجابته همساً وقد أحست بألم ورعب شديدين بسبب اتساع شقة الخلاف وعدم التفاهم بينهما:

«اني. . . اني آسفة على ذلك. جون. . .».

«نعم؟».

كان ينظر اليها بعينين باردتين وقاسيتين ويقول لنفسه انها تبدو الآن اكثر نضجاً. . . وجذابة الى درجة كبيرة. ولكنها تصورت انه ينظر اليها كأنها شخص لم يعد يعجبه. كانت نظراته قاسية الى حد جعلها تنكمش على نفسها وتقول له بلهجة خلت من الاندفاع والحيوية:

«اتمنى. . . اتمنى ان تكون الأمور بيننا مختلفة عما هي عليه الآن».

«وأنا ايضا! من المؤسف انها لا يمكن ان تكون، ولكن علينا ان نتظاهر بالانشراح والبهجة ولو مؤقتاً. . . هذا على الأقل ما ندين به لليزا. وعندما تعود الى مدرستها يوم الاثنين، نقرر عندئذ كيفية تصرفنا وأسلوب عملنا».

مشى نحو جو تاركاً اياها تتعذب وتتألم بمفردها. وفي وحدتها تلك احست بأن عليها ان تنمو. . . ان تكبر. . . الا تظل بعد الآن طفلة

صغيرة! والغريب في الأمر ان حبها لجون لم يمت. . . بل ازداد وكبرا تحول من حب فتاة بسيطة الى حب امرأة راشدة. . . قادرة على تحمّل الانفصال عنه اذا كانت تلك مشيئته ورغبته! وفيما كانت تتأمل البحر والأمواج، بدت امامها جزيرة صغيرة. وشعرت ببعض التوتر عندما عاد جون اليها وابلغها بأنهما يتقربان من وجهتهما. اقترب الزورق من الجزيرة فظهرت اشجار النخيل كأنها لجنة استقبال تتمايل اجساد افرادها رقصاً وترحيباً بوصولهما.

قفز جون من الزورق وساعد زوجته على النزول ثم طلب من جو ان يرمي له علبة الحلويات الكبيرة الفاخرة التي ظنت تينا انها هدية للآنسة كورتني. ولكن جون اعطاها لكبير الأولاد الموجودين على الشاطىء وطلب منه توزيع قطع الحلوى بالتساوي. ثم تبادل بعض الكلمات مع الصيادين الذين كانوا ينقلون السمك من قواربهم الى صناديق موضوعة على الرمال الدافئة. وبعد بضع دقائق، سارا نحو منزل الآنسة كورتني.

«جون تريكارل! كيف حالك؟».

نظرت تينا نحو صاحبة الصوت، التي كانت تنزل الدرج للترحيب بهما، فرأت سيدة مسنّة وبدينة تزنّر عنقها وأصابعها ومعصميها عقود وخواتم وأساور متعددة. وكان وجهها بشوشاً الى درجة كبيرة وتعلو ثغرها اعرض وأجمل ابتسامة تشاهدها تينا منذ فترة طويلة. امسك جون بيد مضيفتهما وهزها بحرارة قائلا:

«اني بخير، يا دانا، وأنت تبدين رائعة!».

«لا يمكنني التأفف ايها العزيز. فمع ان عسر الهضم يزعجني كثيراً بين الحين والآخر، الا انني احب الطعام ولا احرم نفسي من أي نوع احبه. وعندما يصبح الانسان في سني، فماذا يفعل سوى اعداد الطعام وتذوقه بشهية؟».

ضحك الزوجان فيما كانت دانا كورتني تنظر الى تينا قائلة:

«هذه هي عروسك يا جوني، أليس كذلك؟».

«نعم، هذه هي تينا».

لم يكن هناك أي تهكم او سخرية في صوته ولهجته، لا بل انه وجّه ابتسامة خفيفة الى زوجته، من الواضح ان دانا كورتني صديقة قديمة يجلّها ويقدّرها. وربما اراد ان يبدوا امامها زوجين عاديين يمضيان شهر العسل بسعادة وهناء. امسك بيد عروسه وقال لها:

«تينا! اعرّفك على دانا، احدى اطيب المخلوقات في جزر الهند الغربية».

مدّت تينا يدها لتتلقفها يدان كبيرتان وتشدان عليها ببود وحرارة، وقالت:

«كيف حالك، يا آنسة كورتني؟».

«نحن نعارض الشكليات هنا في اورانج كورال. ناديني باسمي الأول يا عزيزتي، فذلك يساعدني على الشعور بأني لا زلت شابة. انك فعلا حديثة السن الى درجة مدهشة، وخجولة أيضاً. لا ادري من كنت اتوقع. . . ربما احدى سيدات ما يسمى بالمجتمع العصري المخملي».

ضحك جون وقال معلقاً:

«كنت اظن انك تعرفينني اكثر من ذلك، يا دانا».

«صح، ولكنك ايها العزيز الغالي في سن معينة وغريبة. واياك ان تظن ان عدم اقدامي على الزواج يعني انني لا اعرف شيئا عن الرجال!».

ثم نظرت مرة اخرى الى تينا وقالت وهي تهز رأسها:

«آه، عندما اتذكر الثياب البالية التي كنت مرغمة على ارتدائها في صباي. . . كم تبدلت الأيام والأحوال! بامكان الانسان ان يجد اي شيء يحبه هذه الأيام».

«نعم! اصبحنا الآن نعرف القيمة الفعلية للأشياء التي نبتاعها بمالنا. . . مع انه يجب الاعتراف بأننا نحصل احيانا على اشياء مغشوشة لا قيمة لها!».

وفيما كانا يتبعان دانا الى الشرفة الواسعة، تساءلت تينا بصمت والم عميق اذا كان بقدرتها ان تحب الى هذه الدرجة رجلا لم يشعر نحوها ابدا بأي محبة او اهتمام حقيقيين. وبدا لها بوضوح ان تلك العاطفة البراقة التي اثارتها فيه عندما كانا في لندن قد ذهبت وزالت. وشعرت بأن احلامها الرامية الى تحويل تلك العاطفة الى حب... انهارت وتحطمت!

٧- الفرنسي الجذاب

جلست تينا على كرسي مواجه للحديقة كيلا تضطر للنظر الى جون كلما رفعت رأسها وتطلعت امامها. كانت تشرب عصيراً بارداً وتتأمل المحيط، تحدوها رغبة عارمة للقفز في مياهه الباردة والابتعاد عنه لفترة ولو وجيزة. الا انها حافظت على هدوء اعصابها وشاركت في الحديث العادي الجاري بين جون والسيدة اللطيفة.

احبت دانا كورتني لأنها تملك قدرة تثير الاعجاب على جعل ضيوفها يشعرون بانهم في بيوتهم. ولكن تينا لم تكن في ذلك الوقت بالذات في مزاج يسمح لها بالانشراح او التمتع باللقاءات الاجتماعية... حتى مع هذه المخلوقة الرائعة. كانت تريد الانفراد بنفسها والغرق في احزانها التي تلفها من كل جانب، كما تفعل مياه

المحيط بهذه الجزيرة الجميلة. اما جون، الذي خلع سترته ووضعها على حافة الشرفة، فقد كان غارقاً في احاديث مختلفة مع دانا وبدا مرتاحاً الى ابعد الحدود. . . وجذاباً الى درجة كبيرة. ولفت انتباهها سؤال دانا لجون:

«هل اعتادت ليزا على امها الجديدة؟».

«بشكل مذهل».

وتساءلت تينا بألم عما سيكون عليه رد فعل الفتاة عندما تغادر. . . امها الجديدة. . . سانت مونيك! وسمعت دانا تضيف قائلة بصراحة فائقة:

«اتمنى من صميم قلبي ان تكونوا عازمين على منح ابنتكما ليزا اخاً او اختاً. عشت حياة صعبة بعض الشيء لأنني كنت الطفلة الوحيدة في البيت، ولذلك تعجبني كثيراً العائلات المؤلفة من طفلين او ثلاثة».

ثم وجهت كلامها الى تينا بشكل خاص قائلة:

«عندما كنت شابة مثلك، رفضت الزواج من مزارع كندي ثري. . . من الرجل الوحيد الذي احببته، لأنني فضلت البقاء بقرب والدي المريض. جوني يعرف ذلك. لم الق ابداً اللوم بكامله على والدي لأنني ضحيت بحبي وبمستقبلي من اجله، ولكني كثيراً ما ندمت على وجود شقيقات او اشقاء كان بامكانهم الاعتناء بابي لو اني تزوجت وانتقلت الى كندا. لم تكن صحته آنذاك تسمح له بالسفر وكان يتضايق بشدة من البقاء بمفرده. اوه، ما بي اردد قصصاً اكل عليها الدهر وشرب! الأفضل ان ندع الوقت يزيلها من عقولنا وقلوبنا! المحزن في الأمر ان هذه الذكريات المؤلمة تعاودنا بين الحين والآخر فتنهمر دمعة او اثنتان. . . ثم ننساها!».

وهزت رأسها بقوة واعادت الى وجهها تلك الابتسامة المرحة وهي تضغط على ركبة تينا قائلة لها بمحبة واخلاص:

«يجب ان يعج قصر الماء الأزرق ببعض الصغار الطيبين، يا

عزيزتي. فالمكان فارغ وينتظر مثل هذا التحول منذ زمن طويل».

عضت تينا بقوة شفتها السفلى التي كانت لا تزال غضة طرية من نوم الليلة السابقة. . . ولم تقدر الا ان تنظر الى وجه جون لتشاهد رد فعله على اقوال دانا. كان وجهه كالحجر الذي يعمل فيه نحتاً وتجميلاً، فيما كانت عيناه الزرقاوان تنظران اليها ببرودة وسخرية جعلتاها تشعر بضيق وانقباض. . . وكأنها خانته وخيبت آماله. لا، انه هو الذي خانها ودفعها الى الشعور بخيبة امل مريرة! فعندما حملها بين ذراعيه وضمها بمثل تلك الرغبة لم يكن مدفوعاً بحاجته اليها. . . الى زوجته، بل بنهمه الى امرأة حبس اسمها داخل تلك العناقات المحمومة!

آه لو كان بامكانها آنذاك ان تشعر بانه عانقها على ذلك النحو الجامح لأنها. . . هي. . . التي يريد ويحب!

لماذا لم يتزوج بولا؟ هل اشتبه بأن لها علاقة بمقتل جوانا؟ اذا كان ذلك صحيحاً، فيا له من مسكين! وفجأة. . . بدأت تشعر بدوار ولم تعد تسمع اصوات الآخرين. فزعت. . . وارتكبت الخطأ المعتاد عندما هبت واقفة. احست بأن الشرفة تموج بها، ولكنها قبل ان تهوي الى الأرض امسكت بها ذراعان قويتان وسمعت صوتاً يردد اسمها بخوف وألم. . . وغابت عن الوعي. افاقت وهي ممددة على سرير ورائحة الاملاح المنشطة تعبق في انفها. نظرت بتعاسة الى دانا الجالسة قربها وقالت:

«يا لسخافة ما قمت به!».

«مهلاً يا طفلتي العزيزة. ارتاحي وتنشقي مرة اخرى، انها تساعدك. الا تشعرين الآن بأنك افضل؟».

«نعم. . . نعم، شكراً».

لم تغب تينا مرة واحدة عن وعيها من قبل، فلماذا هذه المرة؟ شعرت بخوف حقيقي و. . . اعطتها دانا جرعة من الماء وقالت لها فيما كانت تنزل الستائر:

«انك لست معتادة على مثل هذا الحر الشديد، يا حبيبتي».

ثم التفتت نحوها واضافت باسمة:

«انت شابة متزوجة ويمكنني ان اجد سبباً آخر للدوار... غير الحر. هل من مجال للتكهن بأن ليزا لن تظل الطفلة الوحيدة بعد تسعة اشهر؟».

هزت تينا رأسها بعصبية بالغة اثارت دهشة دانا، التي علقت قائلة:

«انت تعرفين اكثر مني يا عزيزتي. هل تثير اعصابك مسألة الانجاب؟».

«ابداً، ابداً!».

اشاحت بوجهها بعيداً عن دانا متظاهرة بوضع الوسادة في مكان افضل، وذلك كيلا تفضح نظراتها الرغبة القوية في انجاب الاطفال ومعرفتها المسبقة بأن شيئاً من هذا القبيل لن يحدث. وسألت دانا:

«هل حملني جون الى هنا؟».

هزت دانا رأسها وجلست قربها مرة ثانية ثم سألتها بصراحة:

«هل من امر يشغل بالك يا صغيرتي وتريدين التحدث عنه؟ اعرف ان جون رجل يتكتم الى حد كبير عندما يريد ذلك. واذا كانت هناك امور لا يود التحدث عنها، فربما تمكنت انا من تزويدك ببعض الاجابات والمعلومات. ومن الطبيعي جداً يا تينا ان يعتريك الفضول ازاء زوجته الاولى».

شدّت بيدها على حافة السرير بعصبية وسألت مضيفتها:

«هل كان موتها قضاء وقدراً، يا دانا؟».

«هل تريدينني ان اكون صريحة جداً؟».

«ارجوك!».

«اعتقد ان شجاراً مع ابنة عمها أدى الى مقتلها».

«أوه، دانا!».

احست تينا بان جسمها يرتعش من رأسها حتى اخمص قدميها.

وتخيلت جوانا وهي تقفز الى البحر، لتموت في تلك الحادثة المؤلمة، بسبب ما قالته لها بولا عن علاقتها مع جون. وكان هو على الشاطىء... ومن المؤكد انه علم بان بولا سبّبت وفاة جوانا، ولو بطريقة غير مباشرة. ولكنه فضّل حمايتها ولم يكشف هذا السر. وسبب ذلك واضح لدرجة ان تينا لم تعد قادرة على تحمّل آلامه وعذابه. وشعرت بيد دانا تشد على يدها بحرارة وتقول لها ناصحة:

«دعي الماضي يمضي يا عزيزتي. ساعدي جوني على ايجاد سعادة جديدة».

ارادت تينا ان تقول لها ان احزانه نتيجة تصرفاته الشخصية... نتيجة تعلّقه ببولا. وسمعت دانا تضيف قائلة بهدوء ووداعة:

«كنت على معرفة وطيدة بجوانا. كانت جذابة الى ابعد الحدود ولكنها كانت تبدو احياناً بحاجة الى اكثر من الجاذبية. كانت متعلقة به الى درجة الجنون، ولكن الحب يشكّل دائماً حالة من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي عندما يكون اعتماداً كلياً على شخص آخر لتأمين السعادة والهناء. واذا فشل زواج جوني الأول، فليس من العدل القاء اللوم بكامله على عاتقه. فالرجل يعطي نصف ذاته لعمله والنصف الآخر لزوجته، والزوجة الحكيمة تقبل هذا الواقع. الا ان بعض النساء لسن حكيمات الى هذه الدرجة».

«هل جوانا منهن؟».

«نعم، مع الأسف».

«وهل بسبب ذلك اقام... أقام جون علاقة مع بولا؟».

هزت دانا كتفيها وقلبت شفتيها. وبعد فترة طويلة من الصمت، قالت دانا:

«ان خبرتي في الحياة طويلة يا عزيزتي، وعلمتني هذه الخبرة ألا احكم على أخطاء الآخرين. اننا ندفع ثمن هذه الاخطاء بطريقة او بأخرى. واذا كان جوني شعر بشيء تجاه بولا كاريش، فانه دفع ثمن ذلك واخرجها من حياته. الشهوة كزهرة مثيرة لا تعمّر طويلاً، اما

الحب فتظل اوراقه خضراء دائماً صيفاً وشتاء. . . اذا اعتنى به الانسان دون افراط او تهويل. اذا كان هذا اسلوبك في العناية بجوني، فلا تدعي احداً او شيئاً يقضي على حبكما».

«وماذا افعل ان كان لا يهتم بي الى هذه الدرجة؟».

تأملت دانا صديقتها الجديدة، التي كان يبدو عليها الحزن والارهاق، وقالت بهدوء بالغ:

«ينبت الحب عادة يا عزيزتي نتيجة للحاجة. ومن المؤكد ان جوني بحاجة اليك والا لما كان تزوجك».

وربتت السيدة الضخمة الحنون على وجه تينا واضافت:

«ارتاحي الآن بعض الوقت لأن ذلك سيساعدك كثيراً».

وفيما كانت دانا تغادر الغرفة وتقفل الباب بهدوء، راحت الأسئلة تضج في رأس تينا وتحرمها من النوم والراحة. هل من المحتمل ان تكون دانا على حق فيما يتعلق بحاجة جون اليها؟ هل لا يزال هناك أمل في اقامة علاقة طبيعية بينهما، حتى بعد ان وصلا الى هذه المرحلة الحرجة؟ انه يحب ابنته كثيراً ولا يريد الحاق الأذى بها، وحرمانها من الأم الجديدة التي من الواضح انها تحتاج اليها كثيراً سيكون عملاً قاسياً لا يقوم به الا ذوو القلوب المتحجرة. ولكنه ليس متحجر القلب. . .

الحب! من المؤكد انه اكثر المشاعر والأحاسيس الانسانية ايلاماً وغموضاً. . . انه امر غير حسي ويتعذر تفسيره او تحديده، ومع ذلك فان بامكانه ان يطعن القلوب كالخناجر. . . كما يفعل معها الآن.

كان جون يعرف سبب رغبة جوانا في الموت. حاول جاهداً الحؤول دون ذلك. . . ولكن عندما وقعت الحادثة، ضمن الحماية لبولا وكان بذلك يحمي اسم زوجته ويحفظ كرامتها وسمعتها. اذا كانت جوانا قفزت عمداً الى البحر وصخوره الناتئة، فان ذلك يعتبر انتحاراً. ومن الأفضل بكثير القول بأنها قضت بحادثة بدلاً من الاعتراف بالحقيقة المرة، وذلك اكراماً لليزا وحفاظاً على

مشاعرها. . .

استيقظت بعد ساعتين تقريباً على صوت الرعد، فيما كان البرق ينير الغرفة المظلمة بومضات قوية وشبه متلاحقة والمطر الاستوائي ينهمر بغزارة وقوة. انها العاصفة التي توقّع جون حدوثها. . وهذا يعني انهما سيظلان في اورانج كورال لحين هدوء العاصفة. . .

وجلست تينا بعصبية بالغة عندما قالت لنفسها انه ربما عاد الى سانت مونيك قبل هبوب العاصفة وتركها بعناية دانا. . . ربما حتى يوم الاثنين عندما يعود اليها ومعه حقائبها وتذكرة سفر! قفزت من السرير متوترة الأعصاب وهرعت نحو الباب ففتحته وهمت بالخروج لتسأل دانا عن. . .

«كنت قادماً للاطمئنان عليك».

واقترب منها جون، الذي كان يحمل مصباحاً على الغاز بسبب انقطاع التيار الكهربائي، واضاف قائلاً بلهجة قلقة:

«لا يزال الارهاق بادياً على وجهك!».

«لا، اني بخير. يبدو ان الحر كان شديداً بعض الشيء بالنسبة لي. اني اشعر بتحسن ملحوظ الآن بعد ان برد الهواء قليلاً نتيجة لسقوط الأمطار».

وضع يده على كتفها التي كانت تؤلمها قليلا نتيجة لضغطه عليها في الليلة السابقة فأجفلت قبل ان تتمكن من السيطرة على نفسها. حدق بها ثم ازاح فستانها قليلاً ليشاهد الرضوض التي احدثتها اصابعه الغاضبة، وسألها بانفعال:

«هل انا فعلت ذلك بك؟».

«اني. . . اني اصاب بالرضوض. . . بسهولة».

ثم وضعت يدها على كتفها لاخفاء تلك العلامات المزعجة وسألته:

«متى هبت العاصفة؟».

«منذ ساعة تقريباً. . . اسمعي يا تينا، اني لم اقصد ابداً. . .».

«اعرف. انا اغضبتك امس بتصرفاتي السخيفة . . . انت زوجي ولك كل الحق. . . ».

«الحق! رباه، كم نسيء استخدام هذا الحق! ارعبتك امس بشكل مزرٍ، وضميري يعذبني بسبب ذلك طوال الوقت. قلت لك كلمات قاسية وحقيرة ولا مبرر لها على الاطلاق».

وداعب شعرها لحظة ثم اضاف قائلا:

«اذا كنت تريدين مغادرتي يوم الاثنين، فلا بأس بذلك. فالزواج بدون حب يرغم الانسان على القيام باعمال يجدها منفرة وكريهة!».

احست تينا بان قلبها يكاد يتوقف عن الخفقان، وتمسكت بعنف بعذرها المنطقي الوحيد لطلب البقاء في سانت مونيك. اذ قالت بدهشة:

«ستشعر ليزا بحزن عميق فيما لو تركت الجزيرة».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وبدت عيناه متعبتين وساخرتين عندما سألها:

«تريدين البقاء من اجل ليزا؟ يبدو انك حقاً تهتمين بها، أليس كذلك؟».

«الى درجة كبيرة! انا لم اتمكن من التمتع كثيراً بطفولتي، ولذلك اصبحت ليزا عنصراً بالغ الأهمية لتعويضي عما فقدته او لم احصل عليه. اعتقد اننا. . . نحتاج الى بعضنا».

حبست انفاسها وهي تنتظر منه ان يقول لها انه هو ايضاً بحاجة اليها. ولكنه، على العكس من ذلك، حدق بها وقال لها بلهجة جافة:

«لا حاجة لأن تنظري الي بمثل هاتين العينين الكبيرتين القلقتين. اذا بقيت في سانت مونيك فانني لن اتوقع منك بذل اي تضحيات».

توقف لحظة ارادت خلالها تينا التعليق على كلامه، ولكنه سمّرها في مكانها عندما اضاف قائلا:

«هناك تعويضات متاحة في سانت مونيك، وانا لن يعوزني اللهو

والتسلية. هيا لننزل الى قاعة الاستقبال قبل ان تجر دانا نفسها الى هنا وتكتشف ما يعيق نزولنا. بالمناسبة، سوف نتناول طعام العشاء في بيت دانا. سيكون من الجنون ان نجازف بالعودة في مثل هذا الجو العاصف».

سبقته على الدرج الضيق حزينة ومنقبضة النفس. كيف لا، وكانت اشارته الى التعويضات المتاحة واضحة وليست بحاجة الى تفسير او تأويل. انه يهددها بالمرأة اللعوب. . . بولا كاريش!

استقبلتهما دانا بوجه بشوش قائلة لهما بمرح ظاهر انها تحب العواصف لأن احداها ارغمت صديقيها على البقاء ومشاركتها عشاءها الذي تتناوله عادة بمفردها. وبعد ان شربوا الشاي، دعت دانا ضيفتها الشابة الى ان تأخذ حماماً ينعشها ويعيد اليها بهجتها.

وفيما كانت تينا تسرح شعرها المبتل، دخلت دانا بوجه مشرق وسألتها:

«هل ارتديت احد فساتين الساري من قبل، يا طفلتي العزيزة؟».

تأملت تينا باعجاب تلك القطعة الطويلة من الحرير الخالص معلقة على ذراع دانا وقالت:

«لا، ابداً! اعتقد انه جميل للغاية».

«اسمعي! لا يمكنني اعارتك احدى عباءاتي لأنها ستبدو عليك كخيمة كبيرة. لذلك فاني سأعلمك كيف ترتدين الساري، اذ ان قوامك مناسب تماماً لمثل هذا النوع».

ثم غمزت باتجاه الغرفة المجاورة حيث كان جون يعد نفسه للنزول الى العشاء، وقالت بصوت هامس:

«ستكون مفاجأة لطيفة جداً بالنسبة لزوجك!».

مشت تينا نحو السيدة الطيبة وسألتها فيما كانت تتحسس القماش:

«رائع! هل هو حرير خالص؟ هل هو اصلي؟».

«نعم يا حبيبتي. عندما كنت صبية عشت مع والدي في الهند، حيث كان يحتل منصباً حكومياً. واخترت العيش هنا بعد وفاة ابي، لأنني طالما احببت الطقس الحار. هيا الآن، لنجرب الساري الذي يزيد الفتيات الهنديات جمالاً وجاذبية».

اقتربت تينا بعد لحظات من المرآة وتأملت نفسها باعجاب واضح. وسمعت دانا تتمتم بسرور مماثل:

«رائع، رائع! كيف تجدين نفسك ايتها العصفورة الجميلة؟».

ضحكت تينا بفرح وقالت:

«كالطاووس!».

وضعت دانا يدها برفق على كتف تينا قائلة لها بحنان، دون ان تشير من قريب او بعيد الى الرضوض:

«انك الآن بحاجة الى عقد يناسب الساري، وانا لدي العقد الملائم. انتظري لحظة كي احضره لك من غرفتي».

هل نزل جون الى قاعة الاستقبال؟ ماذا سيقول عندما يراها؟ هل سيجد الأمر مضحكاً ومسلياً؟ هل. . . ؟ عادت دانا الى الغرفة ومعها العقد الجميل فوضعته تينا حول عنقها ونزلتا الى القاعة لتجدا جون بانتظارهما. رفع حاجبيه بدهشة وهو يقف ويقول:

«اوه، انها حقاً مفاجأة!».

ابتسمت الزوجة الشابة بخجل وقالت له:

«انها فكرة دانا. هل يعجبك الساري؟».

دار حولها وهو يتأملها بدقة وعناية، ثم قال لها بنبرة صادقة:

«انه بالتأكيد يبرز معالم خفيّة من شخصيتك، يا صغيرتي. انك رائعة!».

لم تصدق اذنيها، لأنه بدا كأنه حقاً يعني ما يقول. ولكنها قررت المضي بحذر بالغ مخافة الانزلاق. رفعت يديها عالياً ثم انحنت وهما لا تزالان ممدودتين، وقالت له مازحة:

«الهدف الوحيد لحياتي هو اسعاد سيدي».

ابتسم وقال لها:

«تحدثني نفسي في هذه اللحظة ان اصدق كلامك، يا تينا».

بعد العشاء الشهي الذي تناولوه على ضوء الشموع، تطلعت دانا الى جون وقالت له:

«اعتقد انه لا يزال لدي عدد قليل من ذلك النوع الفاخر من السيكار الذي كان يستخدمه والدي».

واحضرت علبة من خشب الأرز وفتحتها امامه قائلة بمرح:

«هيا يا جوني، اشعل واحداً وغلّفنا بدخانه».

توقفت العاصفة ولم يعد يشعر الساهرون الا بالرطوبة التي خلفتها وراءها. قامت دانا الى الحاكي القديم ووضعت اسطوانتها المفضلة. الفراشة المسكينة! المسكينة الجميلة التي احبت رجلاً وهب قلبه لامرأة اخرى!

«هذه انغام تعيش الى الأبد، وهذا اللحن بالذات كان مشهوراً جداً عندما كنت صبية. عندما تنظران الي الآن، بعد ان اصبحت ضخمة ومستديرة كالبرميل، لن تصدقا انني كنت احدى افضل الراقصات في حفلات بومباي. هل تحبين الرقص، يا تينا؟».

ابتسمت تينا واجابتها بخجل واضح:

«لم ارقص في حياتي ابداً الا مع. . . وسادتي، وفي غرفتي!».

تدخّل جون فوراً ليقول لدانا مبرراً ذلك:

«كانت عمتها التي ربتها منذ صغرها، بعد وفاة والديها قاسية ومعقدة جداً. كان يجب ان تربيها امرأة طيبة وحنونة مثلك يا دانا».

نظرت دانا الى تينا بحنان وقالت:

«اوه، كم كنا سنسعد برفقة بعضنا يا صغيرتي. الرغبة في الانجاب جزء لا يتجزأ من طبيعة معظم النساء، والعناية بطفل امرأة اخرى هي ثاني اروع شعور في هذا المجال. على اي حال، نحن الآن صديقتان ويجب عليك ان تأتي الى اورانج كورال كلما سنحت لك الفرصة. سيطلب جون من جو احضارك الى هنا كلما اردت».

تطلعت تينا بسرعة الى زوجها وسألته:

«هل يمكنني ذلك بين الحين والآخر؟».

«طبعاً يا حبيبتي، فانا اريد ان يصبح اصدقائي الطيبون من امثال دانا اصدقاءك».

وقف بتكاسل ثم فرك رجله اليسرى بسرعة وكأنها تؤلمه قليلاً. نظرت اليه دانا وسألته باهتمام وقلق جديين:

«هل ما زلت تعاني من رجلك بعد هذه الفترة الطويلة؟».

«انها الرطوبة، وازعاجها لي ليس بذي اهمية على الاطلاق».

«كانت حقاً معجزة انك لم تفقد هذه الرجل يا جوني».

هز رأسه موافقاً، ولكن بدا واضحاً انه لا ينوي الحديث عن هذا الموضوع. اذ انه التفت نحو تينا مقترحاً عليها ابدال الساري لأنهما سيعودان الى سانت مونيك. ابتسمت دانا وقالت لتينا:

«ستظلين كما انت، يا صغيرتي. الساري لك... لا اقبل اي اعتراض! انك تبدين فيه جميلة جداً ويمكنك ان ترتديه بين الفينة والأخرى في احدى سهراتكما الانفرادية الرومنطقية. سأحضر لك شالاً من الكشمير تضعينه فوق الساري».

عادت دانا بعد لحظات ومعها الشال الحريري الجميل. وضعته على كتفي تينا وقالت لها هامسة:

«لا تتخلي عن احلامك بالسهولة ذاتها التي حدثت معي. فالحب يا صغيرتي يستحق ويستأهل تضحيات كثيرة، وبخاصة التضحية بالكبرياء!».

ادركت تينا على الفور معنى هذه الكلمات القليلة... اذا كانت حقاً تريد جون فما عليها الا ان تضع الماضي جانباً وتعمل على تحقيق مستقبل سعيد وزاهر. عليها ان تعطي من ذاتها... وان تأمل في ان يؤدي العطاء الى النتيجة المرجوة.

«سأعود قريباً يا دانا».

«اني اتطلع قدماً وبشوق الى ذلك، يا عزيزتي. اتمنى لكما ليلة

سعيدة ورحلة هادئة وموفقة».

شكرها جون مرة اخرى وودعها متمنياً لها ليلة طيبة، ثم امسك بيد زوجته وتوجها الى الزورق. وخلال دقائق قليلة، كان ذلك العملاق الوديع يستقبلهما بهدوء وسكينة ويقول لتينا وهو يساعدها على الصعود:

«كانت عاصفة قوية جداً، اليس كذلك يا سيدتي؟».

فك جون الحبل الذي كان يربط الزورق بأحد الاعمدة المخصصة لذلك، ثم قفز الى الزورق بخفة ونشاط، فيما كان جو يدير المحرك ويتأهب للانطلاق. اقترب منه جون وسأله مستوضحاً:

«هل وجدت بنات عمك بخير، يا جو؟».

ضحك الرجل العملاق وقال:

«لا ادري ماذا فعلت تلك اللعينة ميليسنت بشعرها حتى اصبحت تبدو كفزاعة! ماذا تفعل بالنساء يا سيدي؟ انهن دائماً يتحايلن على الرجال... وعلى انفسهن ايضاً!».

ضحك جون وقال:

«اني اثني على هذا الكلام الحكيم!».

تطلعت نحوه تينا فوجدته ينظر اليها بعينين ساخرتين كأنه يقول لها انها هي ايضاً تتحايل عليه... وعلى نفسها!

توجهت عائلة تريكارل صباح الاثنين الى باربادوس، حيث اعيدت ليزا الى مدرستها الداخلية وقرر جون ان عليه وتينا تمضية بضعة ايام في هذه الجزيرة الخلابة.

اقاما في فندق تحيط به حدائق غنّاء ويطل على خليج جميل يعج بالاسماك الملونة المجنحة. وقالت تينا لزوجها ان من الجريمة اصطياد هذه الاسماك الجميلة لأكلها، ولكنها اضطرت للاعتراف بان طعمها لذيذ وشهي. وقبل ظهر ذلك اليوم ذهبت تينا وجون للسباحة في بحيرة العشاق. وشاهدت للمرة الاولى اثر الجرح الكبير والعميق في فخذه. ارادت ان تضع اصابعها الناعمة على مكان الجرح...

ارادت ان تقترب منه اكثر كامرأة ناضجة و. . . وعاشقة. ولكنه يتصرف معها كصديق وليس كعشيق. . . كجارٍ وليس كزوج. والغريب في الأمر ان ذلك التصرف يحمل في طياته بعض الطمأنينة والسكينة وراحة البال. ورأت تينا ان افضل وسيلة لمعالجة الموقف تكمن في ترك الأمور تجري مع تيار الهدوء الذي يعم حياتها، مدركة بان التيارات الباطنية ستظهر عندما تصبح جاهزة. واقسمت انها هي ايضاً ستصبح جاهزة، وبأنها لن تسمح لبولا كاريش بفرصة ثانية لافساد حياة جون.

في ذلك المساء ذهبا الى بريدجتاون لتناول طعام العشاء في مطعم يقع على سطح احدى البنايات العالية ويسمى مطعم النجوم الساطعة. كان جون يبدو بالنسبة لها اقوى الرجال شخصية واكثرهم اناقة وجاذبية. وافهمتها نظراته كلما تحدث اليها انه مولّه بها وبذلك الفستان الابيض الجميل الذي اقنعتها جاي لانيغ بابتياعه. وسألها فجأة باسماً، بعد ان بدأت الفرقة الموسيقية الرباعية عزف مقطوعة راقصة:

«هل صحيح ان احداً لم يراقصك من قبل. . وان الوسادة كانت الشريك الوحيد؟».

هزت رأسها علامة الايجاب، فيما كانت اصابعها تنقر بهدوء على الطاولة مدفوعة بطريقة لا شعورية بذلك اللحن الراقص. انها سعيدة.

«علينا اذن ان نضع حداً نهائياً لذلك. واعتقد ان رجلي اليسرى لن تشكل عائقاً امام بضع رقصات مع انذارك مسبقاً بانني لم اكن يوماً راقصاً بارعاً».

نهض من كرسيه واقترب منها داعياً اياها الى الرقص. وخلال لحظات، كانت تينا تقف في وسط الحلبة يطوقها الرجل الذي تحبه بذراعيه القويتين ويضمها الى صدره بقوة وحنان. ومع انهما كانا ربما اسوأ راقصين في تلك الحلبة، الا ان تينا كانت تشعر بسعادة فائقة

وتتمتع بكل لحظة من لحظات وجودها بين ذراعيه. وجاءت كلمات الاغنية التالية، التي كانت ترددها بصوت دافىء مغنية سمراء جميلة، تعبّر عن مشاعر تينا واحاسيسها: «لا يمكنني ان اصدق انك هنا، قريب مني، ملتصق بي الى هذه الدرجة. ضمني اليك بقوة، شدني اليك، انها ليلتنا. . .».

استقلا عربة يجرها جواد قوي، وكان القمر بدراً والطريق شبه خالية. وقالت تينا لنفسها ان هذه الجزيرة خير مكان لتمضية شهر عسل. وعندما وصلا الى الفندق واقترح عليها جون القيام بنزهة في الحدائق الجميلة، تساءلت عما اذا كان هو ايضاً ينظر الى وجودهما هنا بالمنظار ذاته.

«كانت هذه الايام القليلة جميلة، اليس كذلك؟ انها جزيرة رائعة، لا تتغيّر ابداً».

«وتمتعت بكل لحظة من فترة وجودنا هنا».

توقف عن السير امام بركة ماء تطفو على سطحها ازهار الزنبق ثم وضع يديه برفق وحنان على خديها ورفع وجهها نحوه. ذابت حباً وهياماً واحست في تلك اللحظة انها على استعداد تام للقبول بحنانه فقط، ان كان هذا اقصى ما يمكنه او يريده، وانها لن تطلب منه اكثر من ذلك.

وسمعته يتمتم هامساً:

«اوه، تينا!».

ومع انه وضع خده على جبينها وظل ممسكاً بخديها، الا انه لم يحاول تقبيلها. وتساءلت بحزن صامت عما اذا كانت الذكريات تلاحقه الى هذه الجزيرة! هل زار بربادوس مع جوانا؟ هل وقفا هكذا في مثل هذه الحديقة؟ وشعرت تنا بجسدها يرتعش ويرتجف دون ان تتمكن من السيطرة على اعصابها المتوترة. وفجأة ابتعد عنها قائلاً:

«هيا بنا، لندخل!».

احست بالبرد والضياع. . . ولم تعلم سوى ان شيئاً ما يجذبه

ويقلقه!

عادا في اليوم التالي الى سانت مونيك وبدأ جون فور وصولهما تقريباً يمضي الساعات الطوال في العمل داخل تلك الغرفة الخاصة ذات السقف الزجاجي. دفعها الفضول الى الاستفسار عن طبيعة عمله، فلم يخذلها بل شرح لها كافة الامور بدقة وروية. ولكنه أبلغها صراحة بانه يفضل العمل على انفراد، وبخاصة لأنه يريد التركيز العميق. انه يصنع تمثالاً من الطين لشخص لا يجلس امامه. . . وبالتالي فانه مضطر للاعتماد على ذاكرته والرسوم المتعددة التي اعدها في الاسابيع الماضية. كانت تسليتها الوحيدة معه عندما يخرج من تلك الغرفة في المساء ويجلس معها في القاعة، حيث يتحول من فنان خلاّق منكمش على نفسه الى رجل طيب يتبادل وزوجته الاحاديث الودية والاجتماعية المرحة.

لم تكن ايامها تعيسة او مملة، لأنها قررت ان تدع الأمور تجري على طبيعتها لحين انتهائه من عمله. كانت تمضي فترات طويلة في السباحة والقراءة والاهتمام بأمور المنزل. ولما توجهت صباح احد الأيام مع توباز الى السوق لابتياع بعض الحاجيات، التقت رالف كاريش الذي بادرها قائلاً:

«لماذا لم تحضري لزيارتنا، يا تينا؟».

كانت قررت عدم زيارته لأنها ستضطر للالتقاء ببولا، وهو امر تمجه ولا تستسيغه اطلاقاً. ولكنه عندما ابلغها بطريقة عفوية وصادقة انه سيكون وحده في البيت بعد ظهر اليوم التالي، وافقت على زيارته لشرب الشاي. رفع اصبعه محذراً بود ومرح ظاهرين:

«لا تخذليني! سأكون بانتظارك».

ثم سأل توباز عن اولادها فاجابته انهم بخير. ولاحظت تينا ان خادمتها تبتسم لهذا الرجل بصدق واخلاص، بعكس نظراتها العدائية الى شقيقته. وبعد ان ودعهما رالف، قالت توباز:

«السيد رالف رجل مهذب وطيب جداً. انه ليس كتلك الآنسة

بولا».

ارادت تينا ان تسأل توباز عما تعنيه بكلامها هذا. فزوجها جو كان موجوداً صباح ذلك اليوم الذي توفيت فيه جوانا وهو الذي انقذ حياة جون. ربما شاهد شيئاً ما ذلك الصباح وابلغه لزوجته. ولكن دانا كورتني نصحتها بعدم نبش الرماد وبأن تدع الوقت يمحو تلك القصص والذكريات الأليمة. شاهدت نوعاً من السمك يحبه جون كثيراً، فاقتربت من البائع واشترت منه كمية كبيرة بعد ان ساومته وحصلت منه على سعر جيد. وفيما كانت توباز تضع الحاجيات في صندوق السيارة، التفتت الى تينا وقالت لها:

«اصبحت ربة بيت ذكية جداً، يا سيدتي. هذه السمكات طرية وشهية الى درجة كبيرة اذا اعدت مع الرز والبصل ثم اضيفت اليها كمية من الزبدة والفلفل».

شجعتها تينا على التحدث عن الطعام وطرق اعداده، وذلك تجنباً لاي حديث يعيد الحزن الى قلبها والفضول الطاغي الى تفكيرها. ولكن بدا لها في وقت لاحق ان احداث الماضي لا يمكن تجاهلها تماماً. ففي صباح احد الايام وقفت تتأمل الجانب البحري لقصر الماء الأزرق، حيث، تبين لها ان النوافذ الثلاث في الطابق العلوي مغطاة دائماً بستائر زرقاء اللون. ولاحظت توباز ذلك فابلغتها بان تلك الشقة هي التي كانت تسكنها زوجة السيد جون الاولى.

شعرت بتحد قوي ورغبة جامحة لزيارة تلك الشقة والاطلاع على محتوياتها وكيفية تأثيثها، ولكنها لم تفعل ذلك الا بعد بضعة ايام عندما عكر مزاجها ما لاحظته من ابتعاد زوجها المتزايد. ارتعشت يدها عندما بدأت بفتح باب الغرفة! كان كل شيء مغطى، الا انه لم يكن هناك غبار وكأن الغرفة تنظف بين الحين والآخر. ومع ذلك فقد بدت الغرفة كمقبرة!! فتحت الخزائن. . . فلم تجد اياً من ملابس جوانا او احذيتها! ذهبت جوانا وذهبت اغراضها الشخصية. . . ولكن الشبح لم يذهب! انه يلاحق جون. . . ويلاحقها! وخرجت تينا

بسرعة من تلك الغرفة ولكن رائحة الموت ظلت لساعات عدة عابقة في انفها. هل دخل جون الى غرفة جوانا بعد وفاتها؟ ليتحسس الاثاث الرائع الذي اختارته جوانا... والذي يناسب جمالها وسحرها؟ هل وقف امام النوافذ الثلاث ليتأمل المحيط ويسمع صوت زوجته الراحلة؟ صوتاً يسأله باكياً لماذا توقف عن الاهتمام...

بدا بيت رالف كاريش اكبر بكثير مما توقعته تينا، وكانت تحيط به اشجار باسقة تخفيه عن عيون الفضوليين وتقع امامه حديقة جميلة. الا ان تينا لم تجد كلباً يقفز هنا وهناك ويهز ذيله ترحيباً بالقادمين. ومع انها تعرف ان بولا ليست بالشخص الذي يحب الحيوانات او تدليلها، الا انها لم تجد موضوعاً آخر تستهل به الحديث مع رالف. فسألته بهدوء:

«أليست لديك اي قطط او كلاب، يا رالف؟».

ابتسم واجابها بهدوء مماثل:

«لدينا بضعة كلاب حراسة في الحقول وقرب المعمل».

ثم اضاف باعجاب واضح:

«انك تبدين رائعة، يا تينا».

فردت الابتسامة الصادقة والبريئة بالمثل قائلة:

«اوه، شكراً».

«ما رأيك بكوب من العصير البارد قبل ان نقوم بجولتنا السياحية في الحقول والمعمل؟».

هزت برأسها مبتسمة وجلست على مقعد مريح تنتظر الشراب البارد وتتأمل ما يحيط بها. وقالت لنفسها من المؤسف جداً ان يظل هذا الرجل الطيب عازباً يعيل شقيقته العاطلة والمبذّرة، بدلاً من ان يتزوج فتاة يحبها وتحبه ويعيش معها حياة سعيدة وبعيدة عن المشاكل التي تسببها اخته. وسألها رالف لدى عودته:

«كيف حال جون هذه الايام؟ لم اره منذ حوالى اسبوعين».

ثم اضاف ضاحكاً:

«اتصور ان هموم شهر العسل لم تنته بعد بالنسبة اليه».

ابتسمت تينا واجابته بهدوء:

«انه منهمك في العمل على مشروع جديد. بالمناسبة، هل يترك مسؤولية الادارة هنا على عاتقك وحدك؟».

«طبعاً، ولكني لا امانع بذلك على الاطلاق. فجون فنان بطبيعته ولا يمكنك بالتالي ان تتوقعي منه اظهار حماسة او اهتمام فعليين بالمحافظة على خلو اشجار الموز من الحشرات المؤذية، او بما اذا كان المحصول السنوي للحمضيات يستأهل مشقة تربية اشجارها والاعتناء بها طوال العام. هذا في حين انني انا اشد شعري حنقاً وغضباً عندما لا يكون موسم الليمون كما اريده. فالمشكلة انني لا احب الفشل!».

«ما من احد يحب الفشل!».

تطلعت بسرعة الى الحديقة تفادياً لنظراته التي تنم عن اهتمام بالغ بما قاله وبالكيفية التي قالتها بها. ولكن السؤال المحرج الذي حاولت تجنّبه جاء سريعاً وهادئاً:

«كصديق قديم لجون وكشخص يهتم كثيراً بسعادته، هل تسمحين لي بان اطرح عليك سؤالاً خاصاً؟».

توترت اعصابها قليلاً ولكنها حاولت اخفاء انفعالها، فقالت له بهدوء:

«اسأل يا رالف! هل تريد ان تعرف ما اذا كنا سننفصل عن بعضنا؟».

وضع يده على معصمها وقال بلهجة صادقة:

«ارجوك، لا تظني انني شخص فضولي يحب التدخل في شؤون الآخرين! ولكن هناك اشخاصاً لا تأتيهم السعادة بيسر وسهولة. جون منهم، اختي منهم، وربما... ربما انت ايضاً منهم!».

ردت عليه بشيء من الحدة نتيجة الألم النفسي الذي احست به:

«انك. . . انك تصورنا كمثلث! هل. . . هل يبدو واضحاً جداً انني لا احلّق في سماء السعادة الزوجية؟».

«هذا كلام شاعري لا ينطبق على الواقع. انت ذكية بما فيه الكفاية لتعرفي ان السعادة الزوجية لا تتحقق الا باقامة علاقات طبيعية مبنية على اسس صلبة من الثقة والاحترام المتبادلين، والاهداف المتحالفة المتعاضدة، والانسجام الفكري. . . والجسدي. انت تمثلين كل ما يحتاج اليه جون وكل ما لم يحصل عليه من قبل. . .».

وشد باصابعه على معصمها فرسم سواراً احمر اللون حوله. واضاف قائلاً بالحماسة ذاتها:

«هل تضعين عراقيل دفاعية في وجهه؟ دفاعات لا تدركين فعلاً معناها ونتائجها السلبية؟ انت مثلي، انسانة منطوية على نفسها. وانا اعرف كيف يشعر الانسان مثلنا عندما يحاول جاهداً الانطلاق من عزلته والانفتاح على الآخرين. . . فيما هو يتلقى الصدمة المؤلمة تلو الاخرى!».

اوه، كم هو على حق! كيف سيشعر الانسان عندما يكشف عن حبه العميق ويواجه بنظرة باردة وساخرة؟ وسمعت نفسها تجيبه هامسة بألم:

«انه لا يحبني. . . فكيف يمكنك ان تلومني ان انا قررت حماية قلبي؟».

«ولماذا انت متأكدة الى هذه الدرجة من عدم حبه لك؟».

«انت الذي يجب ان يعرف! انت شقيق بولا!».

«اوه!».

وخيم صمت مطبق ثم قال لها فجأة:

«هل يساعدك بشيء تأكيدي لك بأن جون لم يحب اختي ابداً؟ ما كان بينهما. . .».

قاطعته تينا بحدة فيما كانت تهب واقفة:

«ارجوك، دعنا نتوقف عن متابعة هذا الحديث! هيا ايها الدليل السياحي، لنقم بجولتنا المرتقبة!».

عادا بعد ساعتين تقريباً ليجدا بولا وصديقها الفرنسي جالسين في القاعة. وقف الرجل بسرعة لدى دخولها وقال:

«اني سعيد جداً بلقائك مرة ثانية، يا سيدة تريكارل!».

«كيف حالك يا سيد دو بندريمون؟».

نظرت بولا الى اخيها، الذي قطب جبينه لدى دخوله القاعة، وقالت بغنج:

«لا تغضب مني، يا رالف. احسست بصداع قوي اثناء التزلج على الماء فاوصلني داسيه الى هنا. اعرف ان وصول ضيف اضافي بصورة غير متوقعة امر مزعج، ولكن اتصور ان لديك طعاماً كافياً لنا جميعاً».

هز رالف رأسه تحية للرجل الفرنسي وقال لاخته ان لديه بالطبع طعاماً كافياً للجميع. ثم دعا تينا الى الجلوس، فيما كانت بولا تقول لها:

«ايتها العزيزة، هل سترُدّين ضيافة رالف بدعوتنا مرة الى العشاء؟».

«بولا!».

«اوه، خفف عنك يا رالف! تينا انتهت من شهر عسلها واريد ان يجتمع داسيه بجون. حسناً! ما رأيك، يا تينا؟».

«من المؤكد انني. . . انني احب حضوركم جميعاً الى العشاء. سأدعوكم في. . . في اقرب فرصة ممكنة».

ابتسمت بولا وكأنها حققت انتصاراً باهراً وقالت:

«عظيم، عظيم! هذا ما كنت اتوقعه تماماً! والآن يا رالف، ما رأيك في ان نشرب الشاي؟ اني اشعر بتحسن كبير وقد زال صداعي فجأة».

٨ - طلاق أو سعادة؟

قالت تينا لجون اثناء تناولهما فطور الصباح انها تفكر باقامة حفلة عشاء تقتصر على عدد قليل من الاشخاص. اجابها بالموافقة، ولكنه اراد ان يعرف مسبقاً من هم هؤلاء الاشخاص.

«رالف وبولا . . . وكذلك داسييه دو بنلدريمون. وآمل ايضاً في ان تقترح لي اسم شابة لطيفة كي ادعوها كرفيقة لرالف».

«هناك جانيت ماكراي».

ثم اضاف بنبرة استفزازية بعض الشيء:

«انها لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها، ولكننا نحن الكهول نحبهن صغيرات بريئات كندى الربيع».

ماذا سيفعل هذا الزوج الساخر لو انها استدارت حوله فجأة

وضمته بعنف؟ ولكن لماذا تطرح على نفسها سؤالاً كهذا؟ عادت الى موضوع الفتاة التي التقتها عندما ذهبت وجون لاحضار ليزا من منزل ماكاري. انها شابة جميلة وذات شخصية قوية ومنفتحة، ومن المؤكد انها ستكون تحولاً طيباً بالنسبة لرالف. . . الذي يمضي وقته بكامله مع تلك الأخت المتحجرة.

«جانيت رفيقة ملائمة جداً لرالف».

«هل تعملين على ايجاد عروس لرالف؟».

«انه شاب طيب للغاية ويعمل بجهد واخلاص حقيقيين في ادارة ممتلكاتك واعمالك واعتقد انه سيكون زوجاً رائعاً للفتاة الملائمة».

اختفت الابتسامة من وجه جون وحلت محلها نظرات قاسية وحادة. ثم سألها:

«وما هو دور بولا في هذه المسرحية؟ هل تظنين ان ذلك الثري الفرنسي ينوي اخذها معه الى مارتينيك؟».

تمنت تينا من صميم قلبها ان يكون داسييه مهتماً عاطفياً ببولا عله يأخذها معه. الا انها لم تكن تتوقع ذلك. فمع انهما يبدوان كشخصين عاشقين على اهبة الزواج، الا انها لاحظت في الليلة السابقة ان داسييه ينظر ببرودة. . . وربما بشيء من الازدراء. . . الى بولا. انها ليست بالمرأة التي تستهويه كزوجة.

انهيا فطورهما فانصرف جون الى عمله وذهبت تينا الى الشاطىء. سبحت مسافة طويلة وراحت تغطس وتطفو وتقفز كطفلة صغيرة. وبعد حوالى نصف ساعة عادت الى الشاطىء واستلقت على معطفها القطني، البرتقالي اللون، المخصص للبحر او للحمام. اغمضت عينيها واخذت تفكر بانواع الطعام التي ستقدمها في الحفلة المقبلة و. . .

استيقظت بعد فترة من الزمن وراحت تداعب الرمال الدافئة باصابع ثابتة وقوية. وفجأة سمعت رجلاً يقول لها:

«انك رائعة الجمال يا حلوتي الصغيرة».

استدارت بسرعة الى يمينها لتشاهد داسييه دو بندريمون جالساً قربها مرتدياً ثياباً رياضية جذابة ويأكل برتقالة. وقبل ان تجيبه، وضع برتقالة اخرى في يدها وهو يقول:

«اني اجد هذا النوع من الفاكهة لذيذاً ومنعشاً الى درجة كبيرة».

ادركت تينا وهي تأكل برتقالتها انها موجودة الآن قرب شخص متفهم ويمكن الاعتماد عليه، الا ان هاتين الصفتين لا تبدوان عليه تماماً. ومع انه بالتأكيد رجل يعرف الكثير عن النساء، الا انه لا يستغل تلك المعرفة بل يتظاهر باسلوب جذاب بانه لا يزال معرضاً للوقوع فريسة الاغراء.

«هل اتيت الى هنا بهدف مقابلتي؟».

«نعم. فقد بدا عليك امس انك حزينة بعض الشيء. هل فقد زوجك الطيب اهتمامه بعروسه؟».

احمر وجهها خجلاً وقالت له:

«انه سؤال شخصي جداً، يا سيد دو بندريمون! سؤال يمكنني تجاهله بكل سهولة ثم... انها المرة الثالثة التي نلتقي فيها وحسب!».

«مرة واحدة قد تكون عادة كافية لشخصين معينين كي يعلما انهما متعاطفان مع بعضهما».

ثم اخرج علبة سكائره وقال لها:

«اتصور انك لا تدخنين، اليس كذلك؟».

هزت رأسها واجابته بهدوء:

«لا، فأنا من الطراز القديم».

«لا تأخذي موقفاً دفاعياً بالنسبة لهذا الموضوع، يا ... يا تينا».

واشعل سيكارته ثم اضاف بسرعة:

«آمل ان تسمحي لي بمناداتك باسمك الأول!».

ابتسمت وقالت له انه لا بأس في ذلك. وتساءلت صامتة عما اذا كان يحاول مغازلتها. لم يغازلها احد من قبل الا نادراً... غازلها جون بطريقة عملية بحتة، ربما لأن رغبته في الحب جفت وماتت منذ فترة طويلة.

«بماذا تفكرين، يا تينا؟ هل تظنين بأنه لا يحق لفرنسي عازب بأن يصف سيدة متزوجة بأنها رائعة الجمال... وبأن عليه التظاهر بأنه يفضل التطلع الى ... الى شجرة نخيل مثلاً؟».

«اعتقد ان اشجار النخيل جميلة وجذابة جداً».

واخرجت وشاحاً صغيراً من جيب معطفها لتربط به شعرها. وفي اللحظة التالية كان داسييه يأخذه من بين اصابعها برقة ونعومة ويلقيه على الرمال قائلاً بلهجة الأمر:

«دعي شعرك كما هو الآن. الاشياء الجميلة يجب الا تربط وتدجن».

ضحكت تينا وقالت له:

«اوه، كفى يا داسييه! انه لأمر جميل ان تحاول رفع معنوياتي، ولكن اياك ان تبالغ كثيراً».

هز كتفيه بمرح ظاهر وقال:

«اذن، فاطرائي لزوجة جون تريكارل يذهب سدى! عمّ نتحدث الآن؟ عن الزواج؟».

«انه موضوع يثير الاهتمام باستمرار».

«انه مثير ومعقد في آن، وبخاصة عندما تمنح شابة قلبها الى رجل في سن والدها تقريباً وكان متزوجاً من قبل. هذه خطوة لا تقدم عليها الا فتاة شجاعة».

نظرت اليه باستغراب واحست بانه يبدي اهتماماً حقيقياً وصادقاً بمشكلتها، وانه لا يحاول التدخل بشؤونها لمجرد ارضاء فضوله.

واضاف قائلاً، وكأنه قرأ افكارها:

«نعم، اني اهتم بامورك يا تينا. انك شابة مخلصة طيبة القلب، واعتقد ان لديك قدرة هائلة على تكريس حياتك باخلاص وتفان لمن تحبين. لو التقينا قبل زواجك من جون تريكارل، لكنت اختطفت قلبك وحملتك على اجنحة الحب والسعادة. انك تضحكين مرة اخرى وتظنين انني امزح».

«اني حقاً اعتقد انك تمزح، وأراهن على انك اختطفت قلوب عدد كبير من النساء في حياتك».

«يقطف الرجل عادة الثمرة الناضجة. اما النوع الخجول والأخضر فيتركه معلقاً حتى يشعر بأنه يحتاج الى زوجة او يريد زوجة».

«وبهذه الطريقة يحصل الرجل على سعادة مزدوجة... يلهو مع من يعتبرهن متحررات ثم يختار فتاة خجولة ومهذبة كزوجة. من المؤكد ان امنا الطبيعة تفضل جنسكم!».

«طبعاً! انها انثى! ثم... ألا تصبح الحياة مملة عندما يكون الرجال كالحيوانات الداجنة تشدهم النساء من انوفهم؟ لا اظن انك تحبين ذلك... فأنت انثى بكل ما في الكلمة من معنى. انا لا احب ابداً النساء اللواتي يحاولن التصرف كالرجال!».

ضحكت وسألته ببراءة:

«هل تعرفت الى عدد كبير منهن؟».

«ليس في مارتينيك او باريس، ولكن هناك عدد لا بأس به في الولايات المتحدة وبريطانيا. وانا بالتأكيد لا ارغب في الزواج باحداهن».

«انت بالطبع تريد ان تكون السيد».

ابتسم ورد مازحاً:

«سأسمح لها ببعض الأمور... ان تختار مثلاً ابريق الشاي الذي يعجبها او ان تضع اناء الزهور في هذا المكان او ذاك».

«اوه، هل هذا ما يقترحه الرجل الفرنسي لتأمين زواج

سعيد؟».

ثم تنهدت واضافت قائلة قبل ان يتمكن من التعليق او الاجابة:

«تبدو حلول المشاكل الزوجية دائماً سهلة، ما دمنا اننا لا نواجهها».

«ما هي مشكلتك الخاصة، يا تينا؟ هل يساعدك التحدث عنها؟».

«لا... لا اعرف. ولكن من المؤكد ان اختيار ابريق الشاي الذي يعجبني لا يحل شيئاً!».

تطلع ملياً الى وجهها الحزين وقال بهدوء:

«نحن لا نعرف بعضنا الا منذ فترة قصيرة ولكن كلا منا يحلم اننا اقمنا علاقة تفاهم وصداقة. وكصديق، سوف اتحدث اليك بصراحة فائقة. انت لست زوجة سعيدة، وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها. وجدت نفسك في وضع يثير دهشتك ويوتر اعصابك، وانا لا احب ان اراك هكذا. قلت لي في اللقاء الأول ان ذكريات الماضي لا تزال تلاحق زوجك حتى الآن. هل ما زالت الاشباح موجودة هناك، في الشقة البحرية، تخيم على علاقتك مع جون تريكارل؟».

ارتعش جسمها تأثراً واحست بالحاجة لتعاطفه وتفهمه، فقالت:

«اعتقدت في البداية ان بامكاني مساعدة جون على تناسي الماضي، ولكنني بحاجة الى الحب... حبه لي! وبدلاً من ذلك، هناك جدار بيننا! نبتسم لبعضنا... نبحث في امور يومية... ولكننا نشعر بالحاجز الذي يفصل بيننا كلما لمس احدنا الآخر!».

واحست بأنه امسك بيديها وشد عليهما فيما كان يقول:

«الزواج الذي يحزنك كثيراً ولا يفرحك الا قليلاً ليس لك، يا عزيزتي. فالحب من جانب واحد لا يحمل في طياته الا بذور الكارثة،

وعندما تنضج هذه البذور فانت التي ستحصدين الموسم السيء والمرير. . .».

«لا. . . لا، ارجوك!».

وضعت رأسها على ركبتيها وكأنها تشعر بألم جسدي، اذ انها لم تعد تتحمل سماع كلماته التي تحمل الكثير من الحقيقة. احست بأنها فراشة صغيرة عليها ان تطير او ان. . . تحترق. امسك بخديها ورفع وجهها نحوه، ثم انزل يديه الى كتفيها وشعرت فجأة بحرارة جسمه الملتصق بها. تسمرت في مكانها. . . انها بحاجة للحنان، للحب. . .

«لا توجد اشباح في حياتي، يا تينا. قلبي يريدك انت. . . انت فقط!».

ماذا يقول؟ ماذا يفعل؟ انتبهت الى انه مددها على معطفها القطني وحجب الشمس عن عينيها بمنكبيه العريضين، وانها تنظر اليه وتشعر بوجوده مع انها لم تدرك بانه يحدثها ويتصرف معها. . . كعاشق!

وضعت يديها على صدره ودفعته عنها قائلة بحدة:

«لا، لا! يجب الا تفعل ذلك، يا داسيه!».

حملت معطفها بسرعة وركضت تجاه الدرج المؤدي الى ساحة المنزل. وفي منتصف الدرج الصخري، اصطدمت برجل آخر ينظر اليها بعينين قاسيتين ووجه كأنه قد من حجر.

«جون!».

قالت اسمه بصوت مرتعش وهي تحدق به حائرة مذعورة، بعد ان ادركت انه كان بامكانه ان يرى الرجل الفرنسي منحنياً فوقها. . . و. . .

«ألن توجهي دعوة الى صديقك الوسيم لتناول الغداء معنا؟ اعني ان ضيافتنا له يجب ان تشمل ايضاً قاعة الطعام، بدلاً من ان تقتصر على الشاطىء!».

وقفت امامه دون حراك وغير قادرة على الاجابة. ضاعت

الكلمات. . . عقدت الدهشة لسانها وحبست الصدمة كلماتها في حلقها. وسمعت داسيه يصعد الدرج وراءها ويقول لجون:

«يجب الا تسيء تفسير ما شاهدته لتوك، يا ثريكارل. كنا نتحدث، ليس الا».

«يبدو، حسبما رأيت، انه كان حديثاً. . . ممتعاً جداً!».

كان جون كالبركان الذي سيثور خلال لحظات حارقاً ومدمراً. وعندما شاهدت في عينيه الباردتين القاسيتين نظرات الاحتقار والشماتة، تراجعت بطريقة لا شعورية الى الوراء وكأن غريزتها دفعتها الى طلب الحماية من داسيه. واثارت تلك الخطوة المزيد من السخرية اللاذعة في لهجة جون، اذ قال:

«اذا كنتما تريدان القيام بالمزيد من هذه الأعمال المثيرة، فمن الأفضل ان تتم حيث لا يمكن لي او للعاملين في خدمتي ان تشاهد كافة التفاصيل. ام ان علاقتكما بلغت مرحلة لم يعد معها بامكانكما السيطرة على مشاعركما؟».

شهقت تينا وصرخت بوجهه محتجة على الاستنتاج الذي توصل اليه:

«جون! كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا الكلام؟ لا اقبل ان توجه الي اتهامات على هذا النحو. . . وبخاصة ان لا اساس لها من الصحة!».

اقترب منها وقال لها، فيما كانت عيناه تقدحان شرراً:

«يا عزيزتي، انت لست اجتماعية الى مثل هذه الدرجة من الارتياح والسرور. . . حتى مع زوجك. رباه، الوضع معي هو عكس ذلك تماماً! اليس كذلك؟».

آلمتها سخريته وردت عليه كحيوان صغير اصيب بجراح ثاخنة:

«لسنا جميعاً ممن يريد اقامة علاقات غرامية وعاطفية مع اشخاص آخرين. ولذلك فلا تحكم علي وفقاً لمعاييرك ومقاييسك».

حلق بها بقسوة ومرارة فيها غابت الدماء من وجهه. ثم استدار بسرعة وتوجه الى البيت. كاد يقع وكأن رجله اليسرى خانته وضعفت امام حملها. اطلقت تينا صرخة الم وهمست لداسييه:

«لم... لم اكن اعني ما قلته له».

امسك داسييه بمرفقيها وقال لها بحنان ظاهر:

«يا صغيرتي المسكينة، ماذا يمكنني ان اقول كي إساعدك؟ انك تحبين رجلاً لا تزال جراح قلبه القديمة تنزف!».

تنهدت وقالت:

«لا ادري ما اذا كان بالامكان استخدام كلمة حب. اني اشعر بعذاب جهنم على الارض».

«اذا كان زواجك غير طبيعي فيمكن ابطاله. يمكنك ان تطلبي الطلاق».

«اعرف. نعم اعرف، يا داسييه. واسمع لنفسي بالقول ان الطلاق قد يحدث».

«تعالي معي الآن، فمن الواضح مما شاهدته في زوجك انه رجل عصبي المزاج الى درجة الشراسة. وانا اخاف منه عليك، يا صغيرتي الجميلة».

ومع انها احست بأن زوجها كان غاضباً بما فيه الكفاية كي يقتلها، الا ان اخلاصها الذي هو جزء من حبها له حملها على القول:

«اوه، لا اظن انه سيضربني».

«لم اكن افكر بالضرب، يا عزيزتي».

«انك تشير الى زوجته الأولى، اليس كذلك يا داسييه؟ صحيح انها توفيت في ظروف غريبة الى حد ما، ولكن لا يمكن تحميل جون... اللوم كله. اعتقد انك تصغي كثيراً لبولا ومعلوماتها المشوهة!».

اجابها بهدوء:

«بولا تحكي وانا اسمع، ولكني انا الذي اتوصل الى النتائج والاستنتاجات. واقول لك ان جوانا انتحرت وان اصدقاء العائلة اخفوا الحقيقة».

ردت عليه تينا بانفعال واضح:

«وهل قالت لك بولا ايضاً ان جون نفسه كاد يقتل في تلك الحادثة؟».

لماذا طلب منها جون في الليلة الأولى لوصولها الى سانت مونيك ان تمنحه السلام والطمأنينة، والا تتعب نفسها بالتشكك بهذه المرأة او تلك لماذا اوحى لها رالف بأن جوانا كانت تحب التملك الى حد غير طبيعي؟ لماذا قالت لها دانا كورتني ان جوانا لم تقبل ان يمضي زوجها نصف وقته معها والنصف الآخر في عمله؟ هل عليها ان تستخلص من ذلك كله ان جوانا لم تكن تريد ان يشاركها بزوجها اي شخص او اي شيء... في اي وقت. وشهقت ثم قالت بأسى وانفعال:

«من المؤسف جداً ان جوانا وبولا حاولتا تملك زوجي وتمزيقه ارباً فيما بينهما كلبوتين شرستين!».

ثم نظرت الى قصر الماء الأزرق بمحبة وحنان. ارادت ان تركض نحو جون لتمنحه كل ما لم يجده في بحثه عن الحب...

«تريدين ان تهرعي اليه مرة اخرى... كالفراشة الى النار. هذا هو الحب... انه ألم لا يمكننا الابتعاد عنه».

وابعد يديه عن كتفيها مضيفاً:

«اذهبي اليه يا صغيرتي، وحاولي ان تعيدي المياه الى مجاريها. واذا كنت بحاجة الى ... الى صديق، فسوف اكون بانتظارك في الفندق».

ابتسمت وقالت له بامتنان ظاهر، فيما كانت ترتدي معطفها:

«شكراً لك، يا داسييه. سأراك في وقت لاحق».

ابتعدت عنه... عن ذلك الرجل العملاق الذي لم يؤذها... وربما احبها. لم تكن تأمل كثيراً في تحقيق اي نجاح مع جون، ولكنها تحبه... وستقول له انها تحبه. واذا ظل مصراً بعد ذلك على ذهابها، فانها ستعض على جرحها وتذهب. دخلت البيت وركضت نحو غرفة نومها. وقفت في منتصف الغرفة وحبست انفاسها علها تسمع حركة او صوتاً في غرفة زوجها.. وعندما تأكد لها انه ليس في غرفته، استحمت وارتدت فستاناً حريرياً ثم توجهت الى قاعة الطعام. ولما فتحت الباب وتبين لها ان طعام الغداء معد لشخص واحد، احست بانزعاج كبير. قرعت جرس الخدمة... وعندما دخل رئيس الخدم كادت تبكي فرحاً. فالاشباح لم تسيطر بعد على المنزل والعاملين فيه! ابلغها الرجل المسن بتهذيبه المعتاد ان السيد جون ذهب بسيارته الى مكان ما قبل حوالى نصف ساعة وطلب منه الا يعد له طعامه.

ارغمت نفسها على الابتسام وقالت:

«شكراً. وبالمناسبة، لا تتعب نفسك باحضار الحلوى».

حياها باحترام بالغ ثم غادر الغرفة واغلق الباب وراءه. تناولت طعامها بمفردها ثم شربت القهوة التي احضرت لها وبدأت تقطع الغرفة جيئة وذهاباً... حائرة وحزينة... وغاضبة. كانت متأكدة من انها اذا اتصلت هاتفياً بمنزل رالف فان شكوكها سوف تتحقق. سيقول لها رالف ان جون حضر الى منزله واخذ معه بولا الى الحقول. أليست هي المرأة التي لجأ اليها في السابق عندما ساءت علاقته مع زوجته الأولى؟

ووجدت تينا نفسها تسير نحو الغرفة ذات السقف الزجاجي، وكانت كأنها تمشي في نومها. واستيقظت فجأة امام الباب فيما كانت تفتحه وتدخل تلك الغرفة التي يمضي فيها زوجها ساعات طويلة كل يوم. تركت الباب مفتوحاً ثم تقدمت الى طاولته وراحت تتحسس الادوات التي كان يستخدمها ذلك الصباح. ومدت يدها الى قطعة القماش المبللة التي تغطي التمثال الذي يعمل عليه منذ عودتها من

بربادوس. لم يذكر لها ما اذا كان تمثال امرأة او رجل. وعندما كانت تسأله عن التمثال، كان يبتسم ويقول لها ان عليها الانتظار حتى ينتهي من صنعه. رفعت الغطاء بيد مرتجفة وحدقت بما كان تحته. ومن خلال الدموع الحارة التي ملأت عينيها، شاهدت تمثال فتاة يتلاعب الهواء بشعرها الجميل. كان تمثالاً جميلاً، ليس لأن صاحبته جميلة ولكن لأن جون... الفنان المبدع... حولها من فتاة عادية جداً الى شابة مفعمة بالأمل... بالوعود... بالحياة...

«اوه، جون!». همست باسمه باكية وهي تنظر الى الفتاة التي وجدها جون وارادها... ثم اضاعها في الزوجة التي كانت تعترض على عناقه ومغازلته. انها فتاة الشاطىء التي التقاها جون للمرة الأولى في تشورلي! ولكن لماذا لم يخبرها؟ لماذا لم يقل لها انه...

واستدارت شاهقة عندما سمعت صوت اقدام وفاحت في الغرفة رائحة عطر جميل غالي الثمن.

وهل اخفتك، يا عزيزتي؟ انك تنظرين الي الآن وكأنني شبح مخيف. كان الباب مفتوحاً و...».

وتوقفت بذهول عندما وقع نظرها على التمثال الذي لم ينته بعد لتينا.

«اذن، كنت تقفين امامه كي يصنع لك هذا التمثال؟».

«لا، لا! كان يستعين برسوم اعدها قبل ذهابنا الى بربادوس».

«انها قطعة رائعة، أليس كذلك؟ قد تكون احد افضل اعماله الفنية».

ومدت بولا يدها نحو التمثال فأحست تينا بالخوف عليه وتحركت بسرعة لحماية هذا العمل الذي لا يقدر بثمن.

«ابتعدي عنه! ستترك فيه اصابعك آثاراً قد تشوهه!».

ضحكت بولا بشيء من التهكم وقالت:

«اوه، كم انت حساسة وعصبية المزاج! هل تظنين بانني الحق الأذى بأي شيء يخص جون؟».

لم تتمكن تينا من السيطرة على انفعالها، فاجابتها بحدة:

«اعتقد انك تضعين قواعدك الخاصة بك غير آبهة بالنتائج، وبغض النظر عمن يتأذى او يتألم».

«حقاً؟ انني لا اعجبك يا تينا، اليس كذلك؟ اذن يجب ان تعلمي ان هذا الشعور متبادل. هكذا تكون عادة مشاعر عدم الاعجاب، في حين ان الحب والكراهية مرتبطان ببعضهما. فما يفصل بينهما دقيق للغاية، حتى اننا احياناً لا نعلم ما اذا كنا نحب هذا الشخص حتى الجنون او نكرهه الى درجة مماثلة. انا مثلاً لا يعجبني العسل او اللبن، وكذلك جون. ولا عجب في انه اصبح يمل منك كثيراً بعد ان ذاق حلاوتك الظاهرة ليكتشف لاحقاً مرارتك الباطنية».

ونظرت مرة اخرى الى التمثال ثم اضافت قائلة:

«كنت غبية جداً عندما تزوجت جون. انه يكبرك بحوالي سبعة عشر عاماً ولم يعد مثلك ذلك المراهق الذي تثيره عناقات يتبادلها مع الحبيبة في ضوء القمر. وكذلك... لا، ربما يجب الا اكون صريحة الى هذه الدرجة... ما لم تكوني راغبة في الاطلاع على كافة الأمور».

«اعتقد ان من الأفضل كشف مشاعرنا الحقيقية، وبصورة نهائية».

مشت بولا في تلك الغرفة الفسيحة ووقفت لحظة امام ذلك التمثال الذي لا وجه له بعد، ثم استدارت نحو تينا وقالت لها:

«انت فتاة بسيطة، تلميذة مدرسة، وليس لديك شيء تقدمينه لرجل مثل جون».

«تزوجني، اليس هذا كافياً؟».

«اوه، ايتها المسكينة! ألم تسمعي الاسطورة اليونانية التي تقول ان هناك حباً حقيقياً واحداً لكل رجل وامرأة؟ انت تعرفين ان هذه حقيقة واقعة، وتعلمين ان جميع العقبات في العالم لن تحول دون

عودتهما الى بعضهما في النهاية. انت طلبت الصراحة، وعليه فسوف اكون صريحة معك الى ابعد الحدود. جون يحبني انا، وست زيجات لن تبعده عني».

شعرت تينا بان رجليها لم تعودا قادرتين على حملها. اصفر وجهها واحست بأن قلبها يتحرق الماً. سألتها بتأثر واضح:

«ولكن... لماذا تزوجني؟».

«الجواب بسيط للغاية. فعلى الرغم من تلك المظاهر القاسية التي تبدو عليه، فهو انسان ذو عقلية قديمة ومتزمتة بعض الشيء. انه لا يحب اقامة علاقات غرامية، وبالتالي فقد كان بحاجة لسوط يضربني به. انه يلومني، يا عزيزتي السخيفة المسكينة، لوفاة جوانا. انا بالطبع غير مسؤولة ابداً عما حدث لها، ولكن تشككه شكل حاجزاً بيننا طوال هذه السنوات. ألحق بي الأذى مرات عديدة وبأساليب متعددة... هذا هو الحب! اذا كنا نخشى الأذية، فعلينا الا نلعب بالنار. ولكن... من منا يقدر على الاقتراب من السنة اللهب الجميلة، الا الجريء والشجاع؟».

ثم ابتسمت واضافت بخبث واضح:

«انت تعرفين ان داسييه معجب بك الى حد كبير، وهو اكثر ثراء من جون. فلماذا لا تذهبين معه؟».

«لأنني، بكل بساطة، لا اريده. انا احب جون، يا آنسة كاريش».

«شيء مؤسف حقاً. سمعت ان لدى داسييه منزلاً رائعاً في مارتينيك، وانت تناسبينه اكثر مما تناسبين جون. فزوجك رجل معقد، مزاجي، صعب، وشبق. الا ترين بنفسك ان جون وانا تناسب بعضنا كثيراً؟».

هزت تينا رأسها بتعب وأسى وتطلعت حولها وهي تسأل باكية:

«اين هو جون الآن؟».

«اني هنا، يا عزيزتي».

لا، لا يمكنها ان تتحمل المزيد... لن تتمكن من مواجهتها والاستماع اليه يقول لها انها ستخرج وبولا ستحل محلها. هرعت الى الباب، فوقف امامها يمنعها من الخروج.

«اتركني، دعني اذهب! اخبرتني بولا كل شيء... فلا داعي لأي حديث آخر».

«اعتقد ان هناك اشياء كثيرة يجب التحدث بشأنها، يا حبيبتي».

حبيبتي! كادت تهوي على الأرض من جراء هذه الصدمة، ولكنه طوقها بذراعه وضمها اليه فيما كان يقول لبولا بلهجة قاسية:

«كنت واقفاً في الخارج استمع بذهول الى اكاذيبك المزعجة. لو لم اصغ لرالف بعض الوقت، لكان بامكانك على الأرجح ان تنجحي مرة اخرى. انه يعرفك على حقيقتك، ويعرف انك كذبت على جوانا عن تلك العلاقة الغبية التي اقمتها معك... والتي ندمت عليها منذ ذلك الحين... والتي لم تكن العلاقة الغرامية المطلوبة بالنسبة لك. لم احبك آنذاك... ولا احبك الآن. ومهما كان ذلك الشيء الذي جذبني اليك، فانه مات وزال منذ سنوات. مات... عندما ماتت جوانا».

حدقت به بولا بعينين تقدحان شرراً كعيني نمرة متوحشة. وفجأة كالت له كلمات تدل على الكراهية... الكراهية وليس الحب. وبعد ان صبت عليه جام غضبها لبضع دقائق، خرجت من الغرفة واغلقت الباب وراءها بعنف وشدة. ارتعش جسم تينا، التي كانت تطوقه بذراعيها وكأنها تريد حمايته من تلك الانسانة اللعينة الحاقدة. وعندما نظرت اليه، ابتسم بمحبة وحنان وقال لها بهدوء:

«اننا حقاً شخصان غريبا الاطوار! يحب كل منا الآخر حتى الجنون، ولكننا نخشى الافصاح عن حبنا خوفاً من الصدمة... من رد الفعل السلبي!».

«الهذا السبب كنت غاضباً الى تلك الدرجة صباح اليوم؟».

«كنت اريد ان اطيح برأس ذلك الرجل الوسيم من على كتفيه. كان... كان منحنياً فوقك وكنت كالنعجة... لا تشدين شعره ولا تحاربينه كقطة صغيرة متوحشة...».

قاطعته همساً:

«جربني الآن!».

امسكها بقوة وشدها اليه بعنف، وكأنه يريدها ان تصبح قطعة منه. تألمت جسدياً... ولكنه كان ذلك الألم الذي ترحب به وتتمناه. انه يحبها حباً صادقاً وصحيحاً. ارادت ان تقول له انها... ولكنه خنق الكلمات بعناقه الحار. تنهدت وابعدت رأسها عنه، ثم دفنت وجهها بين كتفه وعنقه وهي تردد اسمه بمحبة. حملها بين ذراعيه ونزل بها الى القاعة. وفيما كانا يشربان القهوة التي احضرها رئيس الخدم بسرور بالغ، تحدثا عن جوانا.

«كنت احبها في البداية. كانت جميلة الى ابعد الحدود... كحلم رائع يتحقق. ولكن الحلم تحطم عندما افقت من رقادي واكتشفت الحقيقة. الحب هبة وليس تملكاً. الحب شعور يمنحه الانسان بملء ارادته... انه ليس شيئاً يؤخذ او يفرض بالقوة.. ومن المحزن جداً ان جوانا كانت تريده على ذلك النحو».

توقف لحظة وهو لا يزال ممسكاً بيد تينا، ثم اضاف قائلاً:

«اعتقد ان ليزا ستكون على ما يرام. انها مثلي».

«انها مثلك تماماً، يا جون».

حضن وجهها بين يديه القويتين وقال لها بوداعة واضحة:

«اني احبك... احبك جداً، يا تينا. هل تعرفين ذلك؟ تألمت كثيراً تلك الليلة التي رفضتني فيها! شعرت بأنك تحسين بالاشمئزاز كلما لمستك او اقتربت منك!».

«كنت اريدك ان تحبني... ان تريدني... لنفسي! لم اكن اطيق التفكير بأنك تجعل مني بديلاً لشخص آخر!».

«لبولا؟».

ثم ضمها الى صدره بحنان ظاهر وقال لها:
«سوف نترك سانت مونيك وصديقتنا بولا. سوف ابيع البيت والحقول والمعمل، ونعيش في بربادوس. سنكون قرب ليزا وسنحيا بسعادة وهناء».
سألته هامسة وهي تكاد تذوب بين ذراعيه حباً وهياماً:
«ومتى قررت ذلك؟».
«بعد ان شاهدتك على الشاطىء مع ذلك الفرنسي داسييه. قدت السيارة بسرعة جنونية واخذت اردد لنفسي بأن هذه الجزيرة هي مصدر آلامنا واحزاننا. ذهبت الى رالف لاستشيره في هذا الموضوع، فوافقني من صميم قلبه. أليست خطة جيدة، يا حبيبتي؟».
«انها خطة رائعة».
وعندما تمكنت من فتح فمها، قالت له بهدوء:
«قبل ان ينسيني الحب كل شيء، اريد ان اعتذر لك عن تلك الكلمات القاسية التي قلتها لك صباح اليوم على الشاطىء. لم اكن اعني اياً منها».
ابتسم بحنان وسرور وقال:
«كنت تعنين كل كلمة قلتها ايتها الغشاشة الصغيرة... والاعتذار وحده لا يكفي لارضائي».
ضحكت وقالت بمحبة ودلال:
«وماذا تريدني ان افعل لارضيك؟».
«سأفكر بشيء ما. ستكون حياتنا سعيدة من الآن فصاعداً، أليس كذلك؟».
«اني متأكدة من ذلك، يا حبيبي».
وضمته الى صدرها بقوة وحنان، فيما كان يداعب شعرها وعنقها. آه، كم كانت تتمنى تحقيق هذا الحلم! ان تتأكد تماماً من انه يحبها حباً حقيقياً... يريدها... يحتاج اليها! نعم، سوف تكون

حياتها سعيدة مع هذا الرجل الذي تحبه... مع زوجها الحبيب الذي لم يعد شخصاً غريباً لا يظهر اهتماماً او عطفاً لأنه لم يكن متأكداً... من حبها له!